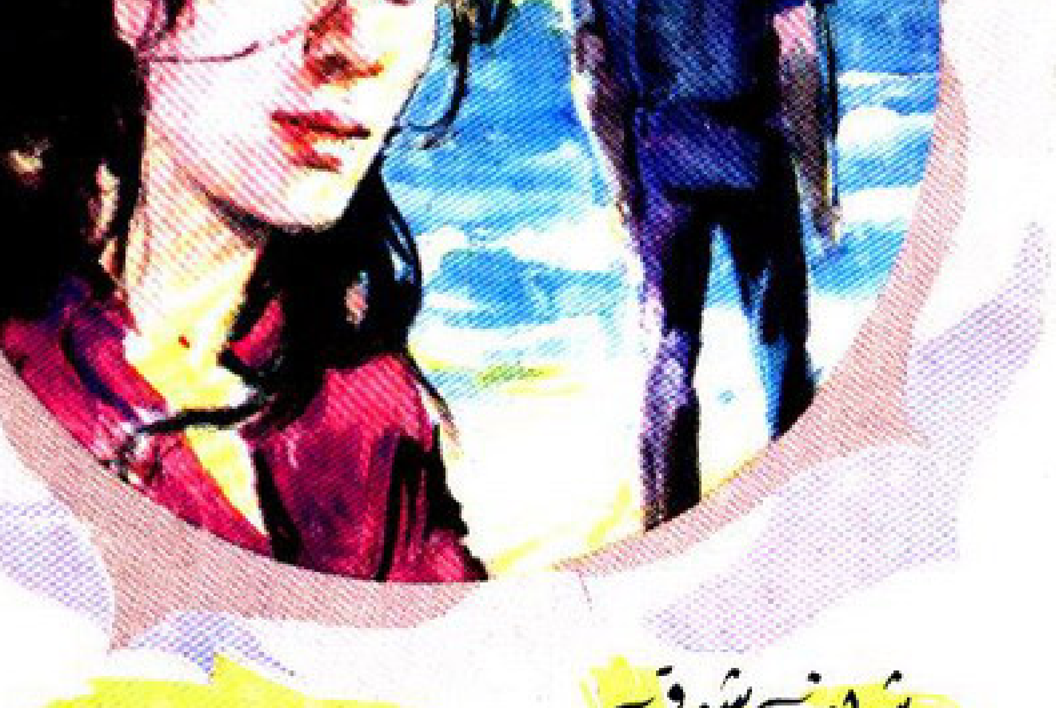




الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر . فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ المشهد الحالم ..

جلست (منى) على الشاطئ ساعة الغروب تتأمل أمواج البحر ، وفى عينيها تلك النظرة الحالمة التى اعتادت أن تتأملها بها ..

لقد اعتادت أن تأتى إلى (الإسكندرية) كل صيف ـ منذ أن كانت طفلة صغيرة ـ لزيارة عمتها وقضاء الإجازة معها .

وأحيانًا كانت تلح على أبيها لكى يسمح لها بتلك الزيارة فى إجازة نصف السنة ، دون أن تعبأ ببرودة الجو فى تلك الفترة .

وبرغم أنها لم تعد منتظمة فى زيارة عمتها خلال السنوات الأخيرة ، على النحو الذى اعتادته من قبل .. ، إلا أنها لم تنقطع عن تلك العادة منذ الطفولة سواء فى شهور الصيف أو الشتاء .

كانت تهوى الاستمتاع بقدر ما تسمح لها الظروف بمشهد الغروب على الشاطئ .. وتأمُّل الشمس وهى تختفى تدريجيًا وراء البحر المترامى الأطراف أمامها .. وكأنها تغوص فى مياهه العميقة ...

كان هذا المشهد الحالم يستهويها دائمًا .. ولا تجد له بديلًا فى أى مكان آخر حتى على شاطئ النيل .

فالبحر بالنسبة لها أكثر امتدادًا .. وأمواجه المتلاطمة الرتيبة أحيانًا والهادرة أحيانًا أخرى .. كانت تضفى على نفسها نوعًا من السحر والمهابة ، لم تكن فى اعتقادها تتوافر فى مكان آخر ..

إنه المشهد الذى تتلاشى معه همومها أيًا كانت .. ويضفى عليها مزيجًا من السكون والمتعة والراحة .

وها هى ذى تحس بذات المشاعر فى هذه اللحظة .. تمامًا كما اعتادت أن تحسها وهى طفلة .. وفى كل مرة تأتى فيها إلى شاطئ البحر فى المعمورة .. لكن شيئًا ما اجتذبها من الاستغراق فى مشهدها الحالم ، الذى استولى على كيانها فى تلك اللحظة .

كان ذلك هو مرور ذلك الشاب الأسمر الفارع القوام .. والذى حجب بقوامه الفارع استغراقها فى ذلك المشهد لفترة تقل عن ثانية وكان يمكن أن يكون مرورًا عابرًا لواحد من الأشخاص الذين يجوبون الشاطئ فى تلك الساعة ..

لكن شيئًا ما جعلها تتحول عن ذلك المشهد ، الذى لم يكن يدع لها مجالًا لأى اهتمام آخر .. لتتأمل ذلك الشاب الذى لم يعرها أى اهتمام .. بل بدا وكأنه لا يشعر بوجودها .. برغم أنها طالما تعرضت لمعاكسات ومضايقات من شباب آخرين بجمالها الأخاذ .

كان يرتدى قميصًا خفيفًا له لون زرقة السماء ، وبنطلونا كحليًا ، وحذاءً خفيفًا .. وبرغم بساطة ما يرتديه إلا أنه كان يكشف عن شخص يتميز بذوق حقيقى ، ويحرص على انتقاء ألوان ثيابه .

وتخطاها الشاب ببضع خطوات .. ثم رأته يسير فوق الرمال يزداد اقترابًا من أمواج البحر .

لم يكن يوجد على الشاطئ الكثيرون فى تلك اللحظة ، التى أشرفت فيها الشمس على المغيب ..

وعندما رأته يزداد اقترابًا من الأمواج ، خطر لها فجأة خاطر مزعج .. وهو أن ذلك الشاب ينوى الانتحار غرقًا .

وكادت أن تلحق به وهى واقعة تحت تأثير ذلك الخاطر ، أملًا فى أن تحول بينه وبين ما هو مُقدم عليه ..

لكنها سرعان ما توقفت وهى تسخر من نفسها .. لوقوعها تحت تأثير ذلك الوهم دون مبرر حقيقى يستدعى ذلك .

فقد توقف الشاب أمام الأمواج التى لامست مياهها حذاءه ، دون أن يخطو خطوة واحدة أخرى ..

ورأته يتأمل مثلها قرص الشمس الأحمر الدامى وهو يختفى وراء الأفق باستغراق شديد ، وقد سرح به الخيال مثلها .

سرها أن تجد شخصًا مثلها يشاركها الاستمتاع بذلك المشهد .. وأن يكون ذلك الشخص هو هذا الشاب الذى استطاع أن يجذب اهتمامها .

لقد جاءت إلى المعمورة منذ ثلاثة أيام .. ولكنها المرة الأولى التى تقع عيناها عليه .. وتساءلت عما إذا كان من سكان الإسكندرية ، أم أنه أحد المصطافين الذين جاءوا إليها هربًا من الحر الشديد الذى يميز شهر أغسطس ..

وأحست بهواء البحر العليل يداعب شعرها .. ويرطب بشرتهـا بنسائمـه الرقيقـة ، فزادهـا ذلك إحساسًا بالرومانسية التى تملكتها فى هذه اللحظات ..

وكان لهذه النسمة العليلة تأثيرها أيضًا على الشاب .. فقد تراجع برأسه إلى الوراء ، وقد تفرقت خصلات شعره الأسود الكثيف فوق جبينه ليأخذ نفسًا عميقًا ، وكأنه يملأ رئتيه بأقصى ما يستطيع من هواء البحر .

لقد كان جذابًا بالفعل .. وظلت واقفة تحدق فيه وهو يغادر الشاطئ عائدًا إلى الطريق الإسفلتى ، دون أن تنكر أنه قد أحدث تأثيرًا سريعًا وحقيقيًا فى نفسها ..

وساءلت نفسها .. ترى متى كانت آخر مرة أعجبت فيها بشخص على هذا النحو ؟

وجاءها الرد .. إن هذا لم يحدث فى حياتها من قبل .. على الأقل على هذا النحو الذى أحدثه ذلك الشاب .

لقد كان إعجابًا مباغتًا وبلا مبرر حقيقى .. عدا أن الشاب جذاب بالفعل . وهى أعجبت بآخرين ، ولكن ليس بنفس القدر ولا الأسلوب الذى أحدثه ذلك الشاب .

لقد أعجبت بالتفوق والنبوغ العلمى لصديقها وزميلها (حسين) .. وكذلك أعجبت بشهامته ورجولته حينما أنقذها من الموت .. ودفعها هذا إلى الموافقة على خطبتها له برغم رفضها لذلك من قبل وترددها فى قبوله ..

ولكن ما حدث بالنسبة لها فى هذه اللحظة شىء مختلف .. شىء لم تجربه من قبل وسخرت (منى) من نفسها .. أهكذا تفكر فتاة اختارت المنهاج العلمى أسلوبًا لحياتها ؟

وهل يتفق هذا مع شخصية فتاة تتأهب للحصول على الماجستير ثم الدكتوراة فى العلوم الكيميائية ؟

تترك نفسها لتقع تحت تأثير إعجاب شديد ، بشاب مرَّ أمامهـا مرورًا عابـرًا .. وتكـاد أن تسبـح فى بحـار الرومانسية !!..

ولكن لماذا لا تعترف بأن فى قرارة نفسها شيئًا رومانسيًا بالفعل ؟ وأن لها عاطفة متقدة حاولت أن تخفيها دائمًا بلا سبب واضح ؟

قد تكون قد اختارت المنهاج العلمى أسلوبًا لحياتها .. وتقمصت تلك الشخصية حتى منذ أن كانت طالبة فى كلية العلوم .. شخصية الدكتورة (منى) الباحثة الكيميائية التى تحلم بتحقيق إنجاز علمى لم يسبقها إليه الآخرون .. وأن يكون لها ما يميزها بالفعل عنهم ..

ومن أجل هذا كان التفوّق هو سبيلها دائمًا .. واستطاعت أن تنال تقدير واحترام والديها وزملائها بفضل هذا التفوّق .

وعندما تخرجت وجدت أبواب هيئات علمية كثيرة مفتوحة لها .. ولم يكن العمل مشكلة بالنسبة لها ..

لكنها قررت ألا تتوقف ، فلابد من (الماجستير) .. ثم (الدكتوراة) .. ولابد أيضًا من ذلك الإنجاز العلمى الذى قررت أن تحققه ذات يوم .

فهذه كانت هى أمنية المرحوم والدها .. وكانت آخر وصية لها قبل أن يموت .. لقد قال لها وهو على فراش المرض .

« (منى) .. لا تتركى أى شىء يقف أمام طموحك العلمى .. إننى أرى ذلك التفوق بداخلك .. كما أرى أبواب النبوغ مفتوحة أمامك .

ربما يكون ما تبقى لى من العمر قليلًا .. ولكنى أرى قبل موتى أنك ستحققين كل ما تمنيته لك ، منذ اليوم الأول الذى اصطحبتك فيه إلى المدرسة .

أرى أمامى الدكتورة (منى) .. بل العالمة المشهورة (منى فاضل) .. » ..

نعم .. هذه كانت هى أمنية الدكتور (فاضل) .. فقد كان يرى فى (منى) امتدادًا له .. وكان يغرس هذا فيها دائمًا .. فهو لم ينجب سواها .. لكنها كانت تساوى الكثير لديه .

وبرغم أن أمها كانت تكن له الكثير من مشاعر التقدير والاحترام .. إلا أنها لم تكن توافقه على أن يترك هذه الفكرة تتسلط عليه وعلى ابنتهما .

كانت ترى أنه لا يمنحها الفرصة الحقيقية للاختيار .. اختيار نوع دراستها وأسلوب حياتها .. بل إنه يحرمها الكثير من حياتها الشخصية ليدفعها إلى تحقيق طموحاته هو لا طموحات ابنته .

وعندما كان يخبرها أن ابنته تشاركه طموحاته ، كانت تقول له :

- إنك لاتمنحها الفرصة لكى تختار ما تريده بنفسها .. فأنت تحاصرها طوال الوقت بأفكارك أنت .

وتنهدت (منى) .. إنها لا تستطيع أن تنكر أن والدها قد غرس هذا الطموح فى نفسها .. وأن أشياء كثيرة فى حياتها الشخصية قد أضبحت لحساب هذا الطموح العلمى .

ولكنها أيضًا لا تستطيع أن تنكر أن شيئًا فى نفسها يتمرد على ذلك النمط من الحياة الذى عاشته .

شيئًا يجنبها بعيدًا عن الدراسات العلميـة ، ومعامل الأبحاث والمواد الكيميائية ويشدها إلى حياة أخرى تمنت أن تحياها .

حياة حالمة .. مليئة بالعواطف الدفاقة .. والمشاعر الرقيقة .

حياة تتوق إلى الحب .. وتنبهها إلـى التوقـف عن الاستمرار فى ذلك السباق اللاهث ، الـذى ركضت فيـه سنوات طويلة .. تجاهلت خلالها أنوثتها ..

ربما كانت تجد فى تلك اللحظات التى تقف فيها أمام هذا المشهد الحالم ، وذلك الصفاء النفسى الذى تستشعره وهى تتأمل غروب الشمس واختفاءها وراء الأفق ، ما يعبر عن غروب حياة تمنتها واختفائها وراء حياة أخرى عاشتها ، ولم تعد تستطيع أن تتراجع عنها .

كانت تشعر بغصة فى نفسها من أجل ذلك .. وكانت تشعر أيضًا بصفاء حقيقى .. لأنها لم تفقد ذلك الشعور الكامن فى أعماق نفسها تمامًا .. تشعر أن منهاجها العلمى لم يجعل أحاسيسها تتبلد .

إنها لم تفقد أنوثتها الحقيقية بعد .. والدليل على ذلك ما طرأ عليها الآن ...

فإعجابها الشديد بذلك الشاب الذى رأته أمامها الآن .. وانجذابها إليه يدل على أن مشاعرها ما زالت تعمل .

يدل على أنها تستطيع أن تعجب بشاب وتنجذب إليه .. إعجابًا حقيقيًا .. إعجاب فتاة بشاب .. إعجاب أنثى برجل .

إن لديها عاطفة يمكن أن تتفتح .. وأن تعرف الإعجاب والحب .. الحب ..؟!

وتوقفت أمام هذه الكلمة للحظة .. وهى تقول لنفسها :

- « ترى هل ستعرف الحب ذات يوم ؟ » .

وماذا عن ذلك الرجل الـذى ارتبطت به ؟ ماذا عن (حسين) ؟

إنها تعرف بلاشك أنها لم تحبه حين وافقت على خطبتها له .

إنها تقدره .. وتحترم ذكاءه العلمى وجديته .. وتقدر إنقاذه لحياتها .. وربما كان هذا هو العنصر الحاسم فى موافقتها على خطبتها له .

ولكنها لم تشعر حياله بتلك المشاعر التى طالما تمنتها فى الشخص الذى سترتبط به .

لم تجرب مشاعر الحب الحقيقية .. برغم أن والدتها تؤكد لها أن الحب سيأتى ذات يوم ؛ لأن (حسين) رجل يمتلك كل المقومات التى تجعله موضع تقدير واحترام .

نعم .. تقدير واحترام هذا هو ما تشعره بالفعل تجاه (حسين) .. ولكن الحب شىء آخر ..

شىء أعمق وأكبر .. وكانت أمها تقول لها إن الاحترام هو بداية الطريق للحب ، ولا حب بدون احترام وتقدير .

ونظرت إلى إصبعها .. لقد تخلصت من خاتم الخطبة الذى يربطها بـ (حسين) حينما حضرت إلى (الإسكندرية) ..

نزعته من مكانه ، واحتفظت به فى جيبها .. ولا تدرى لماذا فعلت ذلك ، ربما لرغبتها الشديدة فى التحرر من أى التزام أو ارتباط ، خلال الفترة القصيرة التى جاءت لتمضيتها فى (الإسكندرية) مع عمتها .

لقد اندهشت عمتها عندما وجدت إصبعها خاليًا من خاتم الخطبة ، واضطرت (منى) لأن تكذب عليها بادعاء الحساسية الجلدية تجاه الذهب .. ولكن يبدو أن عمتها لم تقتنع بهذه الحجة .. وقالت لها بلهجة ذات معنى :

- « أرجو أن تشفى من هذه الحساسية سريعًا .. وتعيدى الخاتم إلى إصبعك .. فهذا فال سيئ » .

ولكنها تشعر برغبة حقيقية فى التحرر من هذا الخاتم .

وأحست بتأنيب الضمر .

إن (حسين) سيغضب ويتألم لو رآها وقد نزعت خاتمه من إصبعها .. وهى لا ترغب فى ذلك مطلقًا .

إنها تحترمه وتقدره .. ولكن أيتفق هذا مع الاحترام والتقدير .. أن تتخلص من خاتم الخطبة على هذا النحو ؟

وتناولت الخاتم من جيب سترتها وهمَّت بأن تضعه فى إصبعها مرة أخرى .. ولكنها تراجعت عن ذلك .. وهى تحاول أن تقنع نفسها قائلة :

- « إن بضعة أيام أخرى أقضيها بأصابع خالية لن تضير فى شىء » .

وعادت (منى) عبر الطريق الإسفلتى الذى يفصل الشاطئ عن المنطقة السكنية المواجهة له عائدة إلى منزل عمتها .

كانت الأفكار ما زالت مزدحمة فى عقلها .. أفكار تدق الماضى والحاضر والمستقبل .

وكان هذا شيئًا غريبًا عليها ، وهى التى اعتادت دائمًا على التفكير المنظم ..

أيكون ذلك لتأثير مشهد الغروب الحالم على نفسها ؟

ولكنها اعتادت أن ترى هذا المشهد من قبل مرات عديدة .. ولم يحدث لها كل هذا التشويش .

أم بسببٍ رؤيتها لذلك الشاب الأسمر الفارع القوام .. والأثر المباغت الذى أحدثه فى نفسها ؟

لاشك أن هذا هو السبب الحقيقى .. لقد حرّك هذا الشاب فى نفسها أحاسيس كانت خامدة .. وأثار فى نفسها تساؤلات طالما هربت من طرحها على نفسها .. تساؤلات حول الحياة التى عاشتها .. والحياة التى تمنّت أن تعيشها

ووجدت نفسها تفكر فيه مرة أخرى .. حتى وهى تضع إصبعها على جرس الباب ، لم تستطع أن تقصيه عن عقلها .

وتساءلت ترى هل ستراه مرة ثانية ؟.. وهل سيأتى ليتأمل مشهد الغروب غدًا على النحو الذى فعله اليوم ؟..

أم أنها كانت مجرد لحظة تأمُّل عابرة ولن تتكرر ؟

وفتحت لها عمتها الباب وهى تستقبلها بابتسامة بشوش قائلة :

ـ هل انتهيت من مشاهدة الغروب ؟

قالت (منى) ..

ـ نعم .. لقد استمتعت بالوقت الذى قضيته على الشاطئ اليوم حقًا .

واصطحبتها عمتها إلى الداخل قائلة :

ـ ألا تملين من تكرار مراقبتك لغروب الشمس ؟

ـ لو قضيت عمرى كله أتأمل هذا المشهد فلن أملّ أبدًا ..

ـ إننى مندهشة أن يصدر هذا القول من فتاة عملية ، وذات عقلية علمية مثلك . خاصة وأنه باستثناء مشهد الغروب الحالم الذى يستهويك .. فلا يوجد ما يدل على أنك من ذلك الطراز العاطفى من الفتيات .

قالت (منى) وهى تصطنع الغضب :

ـ أتريدين أن تقولى إننى مجردة من العاطفة ؟

قالت عمتها وهى تتأملها بعين فاحصة :

ـ وهذا ما يقلقنى بشأنك .. فأنت تشبهين أباك كثيرًا .. وأبوك رحل عن الدنيا وقد حرم نفسه الكثير من متع الحياة ، بسبب هذه الحياة الجادة الخشنة التى عاشها .

ولكن أباك على كل حال كان رجلًا ، ولا يعيبه كثيرًا أنه عاش تلك الحياة الجادة والجافة ، والتى حرمته من الأحاسيس العاطفية الدافئة .. أما أنت « ففتاة » ، والفتاة يجب أن تكون شيئًا مختلفًا .. فالعاطفة جزء من تكوين المرأة .

ـ أنت تتحدثين مثل أمى تمامًا .

ـ إننى أحادثك حديث المرأة للمرأة .. إنك حتى لاتشعرين بأى عاطفة تجاه خطيبك .

ـ من قال لك ذلك ؟

- لست بحاجة لمن يقول لى ذلك .. فأنت لم تحاولى أن تذكريه مرة واحدة .. وعندما يتصل بك تليفونيًا تعمدين دائمًا أن تكون مكالمتك معه مختصرة ..

وهأنتذى قد نزعت خاتمه من إصبعك .

- لقد أخبرتك من قبل ...

- إن ما أخبرتنى به لا يقنع أحدًا ..

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

- أنصتى لى يا حبيبتى .. إننى لا أحاول أن أتدخل فى شئونك .. ولكنك ابنة أخى ، وفى مقام إبنتى ، ولا أستطيع أن أمنع نفسى من الاهتمام بأمرك ، إذا كنت لا تحبين خطيبك ، فلا يوجد ما يدعوك إلى الاستمرار معه ، فأنت بذلك تخطئين فى حقه وفى حق نفسك .

ونظرت (منى) إلى عمتها فى دهشة .. فهذه هى المرة الأولى ، التى تسمع فيها من أحد ، أنه يمكنها أن تتخلص من خطيبها .. إذا لم تكن ترغب فى الاستمرار فى الارتباط به ..

وهى فى هذا الشأن تختلف عن أمها التى تنصحها دائمًا بألا تتخلى عن (حسين) .. وتحاول أن تقنعها بأن الاحترام هو أفضل ما يمكن أن يبنى عليه زواج ناجح .. أما الحب ، فلا بد أن يأتى ذات يوم ما دام كلا الطرفين يحترم الآخر .

وعندما يأتى الحب بعد الزواج تسبقه مشاعر التقدير والاحترام ، فإنه يكون أرسخ وأعمق .

كانت تضطر للخضوع لهذا الرأى كلما تناقشت مع والدتها ، محاولة إقناع نفسها به .. أما ما قالته لها عمتها ، فهو يجد قبولاً أكثر فى نفسها ..

نعم .. ليتها تتحرر من هذه الخطبة التى لم تسع إليها .. والتى تمت فى ظروف حتمتها .. ولكن أتستطيع أن تفعل ذلك ، بمثل هذه السهولة التى تحدثت بها معها عمتها ؟

ليت الأمر كان بمثل هذه البساطة .

وقالت لها عمتها وكأنها تقرأ ما فى أفكارها :

- إننى أعرف ما يدور الآن فى عقلك .. إنك تقدرين (حسين) وتشعرين بأنك مدينة له بالكثير .

وأنا شخصيًا أقدر ذلك الشاب .. ليس بسبب مساندته لك فى عملك ، ولا حتى بسبب إنقاذه لحياتك .. ولكن لأننى أرى فيه ما يستوجب التقدير والاحترام .

ولكن رأيى أنا ليس المهم .. وتقديرك له وحده لا يكفى لصنع زيجة ناجحة .. إنك بحاجة لشخص يحرك مشاعرك ويدفعك لأن تحبيه ..

وأنا لا أرى أن (حسين) قد أحدث ذلك الأثر فى نفسك .. فهل ترين رأيى هذا ؟........

* * *

٢ ـ لقاء فى الغروب ..

صمتت (منى) لبرهة ..نعم إنها تتمنى لو قابلت هذا الشخص الذى يحرك مشاعرها ، ويوقظ عواطفها النائمة .

تُرى .. هل ستلتقى ذات يوم بمثل هذا الشخص ؟ أم أنها قد أوصدت بابها دونه ؟

وهل يمكنها أن تشعر بهذه العاطفة ذات يوم مع (حسين) ؟ أو على الأقل بشىء من الانجذاب .. كالذى شعرته اليوم نحو هذا الشاب الأسمر الفارع القوام ؟

ولاحظت عمتها ما انتابها من شرود .. فسألتها قائلة :

ـ (منى) .. ماذا بك ؟

انتبهت (منى) من شرودها قائلة :

ـ هه ؟!.. لا .. لا شىء ..

ابتسمت عمتها قائلة :

ـ أرجو ألا يكون حديثى معك قد ضايقك .

ورسمت (منى) ابتسامة على وجهها قائلة :

ـ ابدًا يا عمتى .

قالت عمتها بلهجة حنون :

ـ أنت تعرفين مدى حبى لك يا بنيتى .. وأننى لا أرجو لك إلا كل سعادة مع شخص تحبينه ويحبك .

ـ نعم .. أعلم يا عمتى .

وأرادت (منى) أن تغير مجرى الحديث فقالت لها :

ـ لِمَ لا تأتين معى يا عمتى غدًا لنتأمل معًا ذلك المشهد الساحر .. مشهد غروب الشمس ؟

إنه مشهد رائع ويبعث على الخيال .. على الأقل حتى تتأكدى أن الكيمياء ليست هى كل ما يشغل عقلى .

وردت عمتها قائلة :

ـ إن مشهد الغروب لا يستهوينى كثيرًا .. بل أفضل عليه مشاهدة الشروق .. فالشروق يوحى دائمًا بالأمل والتفاؤل .

لكن قولى لى .. إن عشرة أيام فترة قصيرة للغاية .. لماذا لا تحاولين مد إجازتك إلى أكثر من ذلك ؟ حتى تقضى معى أطول وقت ممكن فقد أوحشتنى كثيرًا يا (منى) ..

ـ كنت أتمنى ذلك .. ولكننى مرتبطة بعملى وبالدراسة .

ـ كم يؤسفنى ذلك .. فأنت لا تعلمين كيف تملئين علىّ حياتى وتنقذيننى من وحدتى ، خلال تلك الأيام التى تقضينها معى هنا ..

وفى اليوم التالى لم يكن مشهد الغروب وحده هو الذى يشغل فكر (منى) واهتمامها .. بل ظلت عيناها تتطلعان إلى الشاطئ؛ بحثًا عن ذلك الشاب الأسمر ذى القوام الفارع .

وغابت الشمس وراء الأفق دون أن يأتى أو تلمحه .. فاستدارت عائدة وهى تشعر بشىء من الضيق وخيبة الأمل .

ولم تلبث أن ساءلت نفسها فى حيرة : لِمَ هذا الضيق ؟ وما الذى كانت تنتظره على وجه التحديد ؟ أكانت تنتظر أن تجد شخصًا يشاركها هوايتها الغريبة فى تأمل مشهد الغروب .. بصورة تبدو شبه يومية ؟

لابد أنه جاء إلى هذا المكان بطريقة عابرة واستهواه المشهد الذى أحبته فوقف يتأمله مثلها .. ثم انتهى الأمر .

وحتى لو جاء .. هل كانت تنتظر منه بعض الاهتمام بها .. أو أن تلفت نظره إليها ؟

لابد أنه لم يكن سيلاحظها مثلما حدث بالأمس .. وكان سيمر بها وكأنه لا يراها .. ولماذا تريد أن تلفت نظره إليها ؟ إنها مخطوبة إلى إنسان محترم .. وهى فتاة جادة ومتزنة .. ولن تفكر بطريقة فتاة مراهقة تشغل تفكيرها بشاب لم تره سوى مرة واحدة .

وبينما هى تحاور نفسها على هذا النحو .. إذا بشابين يقتربان منها وقد عمدا إلى مغازلتها .

كانت (منى) شاردة عنهما بتفكيرها .. ولكنها تنبهت إليهما للمرة الأولى، عندما ازدادا اقترابًا منها .

وزاد الشابان من مضايقتهما لها ، فحدجتهما بنظرة رادعة .

لكنهما لم يتراجعا ، مما دفعها إلى أن تسرع السير لكى تبتعد عنهما .

وحاول أحدهما أن يعترض طريقها .. مما أثار غضبها ، فهمَّت أن تنهره بحدة .. ولكن قبل أن تقول شيئًا وجدت شابًا أسمر فارع القوام، يأتى من خلفها .. ويتدخل فى الأمر قائلًا للشابين :

ـ ليس من اللائق أن تضايقا الآنسة على هذا النحو .

قال أحدهما بغلظة :

ـ وما شأنك أنت ؟

قال الشاب بثقة ولهجة حازمة :

ـ إنها خطيبتى ..!

نظرت إليه الفتاة بدهشة .. وقد أذهلها بجرأته .. وحضوره المفاجئ .. إنه هو !.. نفس الشاب الذى كانت تتمنى منذ لحظات أن تراه .. وإن لم يدر بخلدها مطلقًا أنه سيهتم بأمرها أو سيتدخل لمساعدتها .

ووقف الشابان مترددين للحظة .. قد بدا أنهما يتساءلان عما إذا كان ما قاله صدقًا أم ادعاءً .

ولكن عدم إنكار (منى) لما قاله ، ونظرة الثقة التى سرعان ما انقلبت إلى نظرة تنم عن التهديد والوعيد فى عينيه ، جعلتهما يتسمران فى مكانهما وقد ظهرا فى حالة من الارتباك ، لا يدريان معها .. أيعتذران ؟ أم يكتفيان بالانسحاب ؟ أم يحاولان اختلاق مبرر لتصرفهما المذموم هذا ؟

وتركهما الشاب فى حيرتهما وارتباكهما ، ليحيط كتفى (منى) بساعده وهو يسير معها نحو الطريق الإسفلتى ، الذى يفصل بين الشاطئ والمنطقة السكنية .. وزادها تصرفه هذا ذهولًا .. فلم تتوقع منه أن يكون جريئًا معها على هذا النحو ..

ولكنها أحست برجفة تسرى فى جسدها لملامسة ذراعه لكتفها بهذه الطريقة .

كان فى إحاطته لكتفيها بساعده على هذا النحو شىء ما .. شىء يوحى بالحماية والحنان .. شىء يوحى بالاحتواء ..

ولم تكن قد نطقت بكلمة واحدة منذ بداية الموقف ، وحتى اصطحابه لها للرصيف المجاور للشاطئ .

وسرعان ما تذكرت أنه يتعين عليها أن تغضب لتصرفه معها هكذا .. وأن تقول شيئًا يعبر عن استنكارها لجرأته .. بوضع ذراعه على كتفها ، وادعاء أنها خطيبته وإن أحست فى داخلها بشىء ما يريد الاستسلام لهذا الموقف الغريب .

وأبعدت ذراعه عن كتفها ، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الغضب ، وهمَّت بأن تنهره بحدة ..

ولكن قبل أن تقول شيئًا ابتدرها قائلًا بلهجة رصينة :

ـ آسف .. أنا أعرف أنه لم يكن يتعين علىّ أن أتصرف على هذا النحو .. لكن لم تكن هناك وسيلة أخرى ، لكى أمنع هذين الشابين من مضايقتك سوى هذه .

قالت وهى تجاهد لكى تبقى هذه النبرة الغاضبة واضحة فى صوتها :

ـ لا أدرى ما إذا كان يتعين علىّ أن أبدى شكرى أم استيائى .. ولكن أعتقد أنه كان يمكنك أن تجد وسيلة أخرى .. لكى تعبر بها عن شهامتك .. دون أن تدعى أنك خطيبى ، ودون أن تضع ذراعك على كتفى بهذه الجرأة .

ردَّ قائلًا فى هدوء :

ـ نعم .. أعتقد أنك على حق .. ولكن بدون أن أدعى أنك خطيبتى وأتصرف على هذا النحو .. فربما كنت سأضطر للاشتباك مع الشابين والتشاجر معهما .

وبرغم ثقتى فى قدرتى على تلقينهما درسًا ، يكفى لجعلهما يحجمان عن مضايقة أية فتاة أخرى فى المستقبل ، إلا أننى لم أشأ أن أجعلك ترين مثل هذا المشهد البغيض .

كان يبدو واثقًا من نفسه وقادرًا على تنفيذ ما يقوله بالفعل .. وصدقت أنه كان قادرًا بالفعل على تأديب هذين الشابين .. فقد أتيحت لها هذه المرة الفرصة لكى تقترب منه .. وترى ملامحه جيدًا .. كان يتمتع بقوام ممشوق وصلابة جسدية واضحة .

ولكن مظاهر قوته الحقيقية كانت كامنة فى نبرات صوته .. وملامح وجهه توحى بأنه يتمتع بقوة معنوية تفوق بكثير قوته الجسدية .

كما أن حرصه على ألا يؤذى مشاعرها برغم تدخله لمساعدتها .. كشف عن رقة إحساسه .. وأنه رجل يعرف كيف يعامل المرأة .

قالت له وكأنها تعتذر :

ـ على كل حال .. أشكرك لمساعدتك لى .

ورأته يبتسم للمرة الأولى وهو يرد عليها قائلًا :

ـ إننى لم أفعل سوى الواجب .

كانت ابتسامته ساحرة .. وزادته وسامة وجاذبية .

ووجدت نفسها تقول له بتلقائية :

ـ لقد رأيتك بالأمس وأنت تتأمل مشهد الغروب على الشاطئ .

وما إن انتهت من جملتها ، حتى أحست بفداحة خطئها ها هى ذى قد كشفت عن اهتمامها به .. وعن أنه لفت نظرها من قبل وربما ظن أنها كانت تترقب حضوره .

لكنه ردَ عليها ببساطة قائلًا دون أن تفارقه ابتسامته :

ـ وأنا أيضًا رأيتك بالأمس وأنت تتطلعين لذات المشهد .. وكان من الواضح أنه يلهم خيالك ..

وتسارعت خفقات قلبها بشدة .

إذن فقد لاحظ وجودها بالأمس كما لاحظت وجوده ..

ولكن .. لماذا لم يكن يبدو عليه ذلك ؟ لقد مرّ بها وكأنه لا يراها ؟

تُرى أكان يصطنع ذلك ؟.. أم أنها لفتت نظره بطريقة عابرة كأية فتاة أخرى رآها على الشاطئ ؟

إنه لا يبدو من ذلك النوع الذى يصطنع الأمور .. إذن فلا بد أنه رآها ولم يجد فيها ما يجذب اهتمامه .

وربما لولا أنه رأى هذين الشابين وهما يضايقانها ؛ لما تذكرها .

وأفاقت من تساؤلاتها على صوته وهو يمد لها يده مصافحًا قائلًا :

ـ اسمحى لى أن أقدم لك نفسى .. (مدحت عبد العظيم) .

صافحته بيد مرتعشة قائلة :

ـ (منى) .. (منى فاضل) .

سألها قائلًا :

ـ هل أنت معتادة على تأمل مشهد الغروب على النحو الذى رأيتك عليه بالأمس ؟

ـ إننى أحب أن أرى هذا المشهد وأنا واقفة على الشاطئ .. تستطيع أن تقول إننى مفتونة به ..

ابتسم قائلًا :

ـ كان هذا شيئًا واضحًا ....

بادلته ابتسامته قائلة :

ـ أعتقد مما رأيته أنا أيضًا ، أنه يحدث نفس الأثر بالنسبة لك .. أم أننى مخطئة ؟!

وسار بجوارها قائلًا :

ـ فى الحقيقة .. لم يكن هذا المشهد ليجذب انتباهى كثيرًا .. لولا أننى رأيت تلك النظرة فى عينيك وأنت تتأملينه .

إن ما جذب اهتمامى حقيقة هو الطريقة التى كنت تتطلعين بها إلى غروب الشمس .. كنت تبدين هائمة وأنت تراقبين هذا المشهد .

كان شيئًا أشبه بتلك اللقطات التى نشاهدها فى الأفلام الرومانسية القديمة ....

فتاة تتأمل غروب الشمس وفى عينيها نظرة حالمة ....

وسارع بالاعتذار قائلًا :

ـ آسف .. أنا لا أقصد بالطبع أن أسخر منك ، أو أستخف بمشاعرك ، ولكن حقيقة استهوتنى رؤيتك على هذا النحو .

ـ ولكنك مررت بى دون أن ترانى أو حتى تلتفت إلىَّ .

ـ هذا لأنك كنت مشغولة عنى منذ البداية بمراقبة غروب الشمس ، ولم ترينى وأنا أتطلع إليك .

وفى اللحظات التى رأيتنى فيها ، كنت أحاول بدورى أن أتأمل مشهد الغروب ؛ لأستكشف السر الذى يكمن فى هذا المشهد الذى يجعل فتاة جميلة مثلك تغيب عن الوجود وهى تتأمله على هذا النحو .

وأسعدها إطراؤه ووصفه لها بأنها فتاة جميلة .

إنها تعرف أنها جميلة بالفعل .. برغم أنها كثيرًا ما أخفت هذا الجمال وراء ذلك المظهر الجاد الذى تتخذه دائمًا وثيابها البسيطة .. وتلك العقصة التى تدفن فيها جمال شعرها مع ما يتميز به من انسيابية ونعومة .

وقد سمعت الكثيرين يطرون جمالها بالرغم من هذا المظهر الجاد ، وعدم اهتمامها بإبراز هذا الجمال .. ربما لرغبتها فى أن يهتم الآخرون بعملها ورجاحة عقلها ، أكثر من اهتمامهم بجمالها .

ولكن هذه هى المرة الأولى التى تسعد فيها حقًا بإطراء شخص ما .. وبأنه يعتبرها جميلة ..

وسألته قائلة على استحياء :

- وهل استكشفت هذا السر ؟

ردّ عليها قائلًا :

- فى الحقيقة ، لقد تبين لى أنك كنت محقة تمامًا .. فهو مشهد ساحر بالفعل .. وتعجبت لأننى لم ألتفت إليه ، أو يجذب اهتمامى على هذا النحو ..

إن قرص الشمس وهو يختفى وراء الأفق ، ويبدو لمن يراه وكأنه يغوص فى مياه البحر .. لمشهد يثير الخيال حقًا .

والتفت إليها .. وأردف :

- ولكن ألا ترين معى أنه يبدو مشهدًا حزينًا بعض الشىء ؟ أعنى أنه يحمل الكثير من الشجن ؟

وكأننا نودع شخصًا عزيزًا علينا ؟

- إننى لا أتأمله بمثل هذا الشعور .. بل أشعر براحة كبيرة ، ويغمرنى إحساس بالهدوء والسكينة ، وأنا أرقب هذا المشهد .

- ربما يذكرك بشخص ما .. أو يوحى لكِ بعاطفة مفتقدة .

- أعتقد أنك تبالغ فى تصوّرك هذا .

- إذن .. فأنت فتاة شاعرية .. وإلا لما استوقفك مشهد كهذا .

وضحكت (منى) قائلة :

- ما رأيك لو أخبرتك بأننى أعمل باحثة كيميائية .. وأننى حاصلة على الماجستير ، وفى طريقى إلى الحصول على الدكتوراة فى الكيمياء ؟

وضحك بدوره قائلًا :

- تعنين أننى أتحدث إلى عالمة كيميائية ؟.. ولكن هذا لا ينفى أنك تحملين بعض الصفات الشاعرية ..

- هذه أول مرة يصفنى فيها أحد ، بمثل هذا الوصف .. فهم يصفوننى دائمًا بأننى فتاة جامدة المشاعر وجادة ، وعملية أكثر من اللازم .

قال لها ببساطة دون أن يرفع عينيه عن وجهها :

- ربما لأنهم لم يروا فيك ما أراه الآن .

واضطربت لدى سماعها ذلك ..

تساءلت عما يعنيه بهذا القول ؟.. وهل هو يعنيه حقًا ؟ ما الذى رآه فيها دون أن يراه الآخرون ؟

وتبين لها أنها سارت معه مسافة طويلة بعيدًا عن منزل

عمتها .. وأنها استغرقت فى الحديث ، دون أية تحفظات يحتمها لقاؤها مع شخص غريب عنها ، وتتحدث إليه للمرَّة الأولى .

ولكن ما سر هذه الألفة التى تحسَها نحوه ؟ والتى جعلتها تتجاهل أية تحفظات خاصة بالنسبة لفتاة مثلها ؟

ولماذا سمحت له بالاستغراق معها فى الحديث على هذا النحو ؟

وما الذى يمكن أن يظنه فيها الآن ، وقد تركته يسير معها كل هذه المسافة ، ويتجاوب معها فى الحديث بهذه الطريقة ؟ وهى التى كانت تعترض منذ قليل ، على تدخله لإنقاذها من مضايقات الشابين ، اللذين اعترضا طريقها بأسلوب غير لائق !!

وانتابها شعور غريب .. وهى تتساءل .. هل كانت مصادفة أنها أحست بشىء من الانجذاب نحو هذا الشاب ، عندما رأيته بالأمس دون أن يكون بينهما سابق معرفة ؟

وهل من المصادفة أيضًا ، أن يحدث هذا التآلف السريع بينهما ، وهما يلتقيان معًا للمرة الأولى ؟ وهى الفتاة التى تعوَّدت على الجديَّة والالتزام والتحفظ فى محادثة الآخرين .. أم أن القدر أراد لهذا الشاب بشكل ما ، أن يلعب دورًا فى حياتها ؟!

★ ★ ★

٣ ـ صوت فى أعماقى ..

وطال صمتها .. فسألها قائلًا :

ـ لماذا أنت صامتة ؟

تطلعت إليه قائلة :

ـ أعتقد أنه يتعين علىَّ أن أعود إلى منزلى الآن .

سألها :

ـ هل منزلك قريب من هنا ؟

ـ نعم .

ـ إذن فأنت من سكان الإسكندرية .

ـ فى الحقيقة إن عمتى هى التى تقيم فى الإسكندرية .. وأنا أقضى إجازتى معها .

ـ أتمنى أن تكون إجازة طويلة .

ـ لقد تبقى لى منها ستة أيام .

ـ يؤسفنى سماع هذا .. فالوقت الذى تبقى لدينا قصير .. ولكن يمكننا استغلاله .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أنه بوسعنا أن نتقابل يوميًا ، خلال هذه الأيام الستة المتبقية من إجازتك .

ـ هل تعنى أننا سنتقابل مرة أخرى ؟

ـ ألديك مانع ؟

ـ بالطبع .. ليس معنى أننى تساهلت معك ، وسمحت لك بالسير معى ، والتحدث إلىّ فى بعض الأمور تعبيرًا عن امتنانى نحوك أنه ستكون بيننا لقاءات متعددة .

ـ لماذا ؟ ألم نصبح صديقين ؟

ـ نعم .. لم نصبح كذلك ..

قال لها بلهجة جادة :

ـ آسف .. يبدو أن تصوُّرى كان خاطئًا .. وأننى تجاوزت حدودى .

ولامت نفسها .. لأنها تحدثت إليه بهذه اللهجة الجافة ، وأحرجته على هذا النحو ، ولكن لم يعد هناك مجال للتراجع .

ـ أتحبين أن أوصلك إلى منزلك ؟

قالت له بنبرة جافة تنم عن أسفها :

ـ أشكرك .. لا داعى لذلك ..

ـ ربما حاول أحدهم أن يتعرض لكِ مرة أخرى .

ـ لقد قلت لك إن المنزل قريب .. وأستطيع أن أعتنى بنفسى .

ـ حسن .. آسف إذا كنت قد ضايقتك .. ولكن يجب أن تعرفى أننى كنت أتمنى بالفعل أن نكون صديقين .. فأنا أرى فيك الكثير من المزايا التى تستحق الإعجاب والتقدير .

وتركها منصرفًا دون أن يلتفت وراءه أو حتى يقول كلمة وداع واحدة بينما وقفت تراقبه ، وقد أحست بأنها تصرفت بتسرع وحماقة .

لقد كانت تحلم بأن تراه مرة أخرى .. وها هى ذى قد رأته .. وتحدث إليها .. بل أراد أن يكون صديقًا لها .. وعاملها بمنتهى اللطف والاحترام .. فلماذا صدمته على هذا النحو ؟ ولماذا عاملته بهذا الجفاء ؟

هل أرادت ألا تبدو أمامه فتاة سهلة ؟ ولكنه لم يعاملها على أنها من ذلك النوع من الفتيات .

وساءلت نفسها قائلة :

ـ تُرى .. هل ستراه مرة أخرى ؟ أم أن هذا هو اللقاء الأخير بينهما ؟

ولماذا تطرح على نفسها هذا السؤال ؟

ألم يرغب فى أن يلتقى بها يوميًا وكان يبدو متشوقًا لذلك بالفعل ، وهى التى رفضت ؟ وجعلته يتركها بدون حتى كلمة وداع بحماقتها ؟

لقد تصرف كرجل ذى كبرياء .. ولم يحاول أن يفرض نفسه عليها ، أو يلح فى سؤاله لها أن تلقاه .. ولا يمكنها أن تلومه على ذلك .

وعادت إلى منزل عمتها وهى مهمومة ، دون أن تتوقف عن تأنيب نفسها .

فى المنزل حاولت التخلص من ذلك الاحساس قائلة لنفسها :

ـ لقد تصرفت بطريقة صحيحة تمامًا .. فلم يكن هناك ما يدعو إلى التورط مع هذا الشاب .. خاصة وأننى أشعر بإعجاب حقيقى نحوه ، وبأن هناك شيئًا ما يشدنى إليه ..

وهى لا تدرى ، إلى أى مدى كان يمكن لهذا الاحساس أن يدفعها إلى المزيد من التورط معه ؟

كان عليها أن تضع حدًا لتلك المشاعر الغامضة التى تشعرها إزاءه وألا تسمح بالمزيد منها ؟

إنها فتاة مخطوبة .. وعليها ألا تنسى ذلك .. حتى ولو كانت لاتضع خاتم الخطبة فى إصبعها .

فعليها التزام يتحتم عليها أن تحافظ عليه .. خاصة بالنسبة لفتاة مثلها .

فتاة يشيد الجميع بعلمها وجديتها واحترامها لذاتها .

وفى اليوم التالى سارت (منى) على الشاطئ وعيناها تنقبان عنه .

لم يكن الغروب هو الذى يشغل اهتمامها فى هذا اليوم .. بل (مدحت) .

كانت تود أن تراه .. وقد ضربت بكل الاعتبارات والالتزامات التى ساقتها بالأمس عرض الحائط .

فرغبتها فى رؤيته والتحدث إليه مرة أخرى ، كانت تطغى على أى اعتبار آخر . ولكنه لم يكن موجودًا .. وكان عليها أن تدفع ثمن اندفاعها وجرحها لكبريائه .. وهمّت بأن تعود إلى المنزل ، وقد تملكها إحساس بالضيق .

ولكنها سرعان ما توقفت ، وقد لمحته قادمًا عبر الطريق الإسفلتى .

فما إن وقعت عيناه عليها ، حتى تسمر مكانه لبرهة .. ثم استدار عائدًا من حيث أتى ..

واندفعت نحوه تركض حتى لحقت به .

ووقفت أمامه قائلة :

ـ لقد جئت خصيصًا لكى أعتذر لك عما بدر منى بالأمس .

نظر إليها قائلًا :

ـ لست بحاجة لاعتذار .. الاعتذار واجبى أنا وحدى ..

سألته قائلة :

ـ أما زلت ترغب فى أن نكون صديقين ؟

أجابها قائلًا :

ـ لو كانت هذه هى رغبتك أيضًا .. فآخر ما أفكر فيه هو أن أفرض نفسى عليك .

سألته ..

ـ هل أنت من سكان الإسكندرية ؟

ـ لا .. إننى أقضى فترة الإجازة الصيفية فى الإسكندرية فقط .. وما زال أمامى شهر أقضيه هنا .. ولكنى أعرف كل شبر فى هذه المدينة الرائعة التى أحبها .

قالت له :

ـ لقد جئت إلى الإسكندرية كثيرًا .. ولكن الأماكن التى أرتادها فيها محدودة ..

ـ إذن فأنا مستعد لأن أكون دليلك ، فى التعرف على الأماكن التى لم ترتاديها بعد .

ـ ولكن تذكر أن ما تبقى لى خمسة أيام من الإجازة .

ابتسم قائلًا :

ـ نسطيع أن نفعل الكثير خلال هذه الأيام الخمسة .

سألته قائلة :

ـ بالمناسبة .. كيف ظهرت بالأمس على هذا النحو المباغت ؟.. إننى لم أرك على الشاطئ ؟

اتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـ فى الحقيقة لقد كنت أراقبك دون أن ترينى ..

سألته بدهشة :

ـ تراقبنى ؟

ـ نعم .. لقد جئت خصيصًا بحثًا عن فتاة الغروب .

ضحكت قائلة :

ـ فتاة الغروب ؟.. يا له من تعبير !

ـ إنه يتفق مع افتتانكِ بمراقبة غروب الشمس .. وإن كنت أرى إشراقتها على وجهك .

ضحكت (منى) قائلة :

ـ يبدو أن براعة التعبير لا تنقصك .. فأنت ممن يجيدون المجاملة .

ـ ولكنى لا أجاملك .. يكفى أن ترى نفسك فى المرآة ، وأنت تضحكين بمثل هذه الطريقة لترى أى جمال هذا الذى يبدو فى إشراقة وجهك .

قالت له وهى تبدى امتعاضًا مصطنعًا ..

ـ صديقى العزيز .. إنك تتجاوز الآن حدود الصداقة .

اصطنع بدوره الدهشة قائلًا :

ـ كيف ؟

ـ ألا ترى بوضوح أنك تغازلنى ؟

ـ هأنذا قد وقعت فى المحظور .. ولكن ماذا أفعل إذا كانت صديقتى فتاة جميلة مثلك ؟

وعادت لتضحك قائلة :

ـ يا لك من ماكر !

ـ ما رأيك لو ذهبنا الآن إلى المنتزة .

ـ الآن .. لا أستطيع .. ولكن لا بأس بالغد .

ـ إذن .. سأنتظرك هنا غدًا فى التاسعة صباحًا .

ـ التاسعة صباحًا ؟ ألا ترى أن هذا وقت مبكر للغاية ؟

ـ يجب أن تعرفى أننى أتميز بالنشاط .. وأحب أن أجد من يصادقنى نشيطًا بالمثل .. ثم إننا بحاجة إلى استغلال أكبر وقت ممكن مما تبقى من إجازتك .

ـ حسن .. اتفقنا .. سأكون هنا فى التاسعة صباحًا .

ـ عظيم .. ستجديننى فى انتظارك .

وعادت (منى) إلى منزل عمتها وهى تركض .. تكاد أن تطير من فوق الأرض من شدة إحساسها بالسعادة .

إنها سعادة لم تستشعرها من قبل .. ولم تجربها فى حياتها ..

سعادة تدفعها لأن تركض على هذا النحو ، وتتخلى عن وقارها المألوف .. فهذا الرجل قد أحدث فيها تغييرًا ملحوظًا .

إن نظراته وكلماته وابتسامته ، تحرك فيها مشاعر لم تعهدها فى نفسها من قبل .

وقد حدث ذلك خلال أيام قليلة .. وبلا مقدمات .. وبلا أسباب واضحة .

وتوقفت عن الركض .. وبدأت تسير بتمهّل .. وقد انعكست على وجهها ملامح القلق والتوجس .

وما الذى يحدث لها ؟ هل أحبته ؟

وتوقفت تمامًا عن السير .. وقد ازدادت ملامح القلق على وجهها .

أحبته ؟ يا له من تعبير !.. إن الحب شىء كبير .. لا يمكن أن يولد هكذا فى لحظات ، وخلال أيام معدودة ، وبلا أسباب واضحة ..

إنه شىء له مقدمات .. وأسباب .. ونتائج .

وبدت وكأن شخصًا بداخلها يحاورها قائلًا :

ـ المقدمات .. والأسباب والنتائج .. هأنتذى تلجئين إلى المنهج العلمى مرة أخرى أيتها الباحثة الكيميائية !

لا مجال للمقدمات ولا للأسباب ولا للنتائج .. إن المشاعر لا تخضع لمثل هذه الأمور العلمية .

والحب يبدو أحيانًا بلا منطق وبلا أسباب واضحة ؛ لأنه أكبر من المنطق وأقوى من الأسباب .. وهكذا يجب أن تتعلمى ..

وبدت وكأنها ترد على ذلك الشخص بداخلها قائلة :
- ولكنى لا أحبه .. ربما أننى قد أعجبت به والأمر لا يتجاوز ذلك .. إن ما عدا ذلك يتعين على أن أطرحه جانبًا .. لأنه غير مقبول .
ربما إنه الخوف من أن أتورط معه فى مشاعر تتجاوز الإعجاب ، هى التى دفعتنى للتفكير فى كلمة الحب .. خوفًا من الحب .. لا سعيًا إليه .
أما بالنسبة لى فإننى واثقة بأن الأمر لا يمكن أن يتجاوز حدّ الإعجاب والصداقة ، والرغبة فى أن أمنح نفسى وقتًا أتحرر فيه ، من جمود وطريقة تفكير الباحثة (منى) ، وأتخلص من ذلك الروتين الذى يغلف حياتى .. بالتنزه فى أماكن لم ارتدها من قبل ، وبصحبة شاب لطيف يعاملنى برقة واحترام ، إن ذلك قد لا يتحقق لها مع شخص مثل خطيبها (حسين) .
ومرة أخرى أحست بوخز الضمير .. وكيف يتسنى لها أن تخرج مع شخص آخر غير (حسين) ؟ وتسمح له بمصاحبتها ومغازلتها ، على ذلك النحو الذى يتصرف به (مدحت) ؟
وأحست بأنها تسمع صوت ذلك الشخص الذى يحاورها وهو يسخر منها قائلًا :

- هل أنت واثقة حقًا .. بأن الأمر لن يتعدى حدود الإعجاب والنزهة البريئة ؟
وأجابت على نفسها :
- نعم .. إننى واثقة من ذلك ..
وبدا وكأن ذلك الصوت يتلاشى من داخلها .. ولكن قبل أن يتلاشى بدا وكأنه مستمر فى سخريته وهو يقول لها :
- سترى ذلك ..!

★ ★ ★



٤ ـ رجل فى حياتى ..

لأول مرة وقفت (منى) لتدقق كثيرًا فى اختيار ثيابها .. ولم تكن قد أحضرت معها الكثير من الثياب .. للأسف ..

فهى تكتفى عادة ببعض الثياب البسيطة ، ولاتستهويها كثرة التغيير فى ثيابها من يوم لآخر .. لقد تعودت أن تكون فتاة عملية حتى فى طريقة ارتدائها لثيابها .

وأحست عمتها بحيرتها وهى ترقبها واقفة أمام دولاب الملابس تتناول الثوب ثم تعيده .. لتتناول غيره ..

وابتسمت عمتها وهى تقترب منها قائلة :

ـ لماذا تبدين حائرة على هذه النحو ؟ إنها المرة الأولى التى أراك فيها تبدين عناية كبيرة باختيار الثوب الذى سترتدينه .

قالت لها (منى) وهى تطلق زفرة قصيرة تكفى للتعبير عن حيرتها :

ـ يبدو أننى بحاجة لشراء بعض الثياب الجديدة .

ـ لا بأس .. ننزل معًا غدًا لابتياع بعض الثياب الجديدة لك .. إنك تحتاجين بالفعل لشىء من الاهتمام بمظهرك .

ـ عمتى .. أتعتقدين حقًا أن هذه الثياب تجعلنى أبدو بمظهر غير مناسب ؟

ـ بالعكس يا حبيبتى .. إن هذه الثياب تعبر عن شخصية الباحثة (منى) .. إن كل ما تحتاجين إليه ، هو ثياب تعبر عن أنوثتك ..

ـ وهذه الثياب .. ألا تعبر عن أنوثتى ؟

ولم تحاول عمتها أن تتطرق إلى الأمر أكثر من ذلك .. ولكنها تناولت جيبة وبلوزة من الدولاب وقدمتهما لها قائلة :

ـ لو كنت تثقين بذوقى ، فإنك يمكن أن تكتفى بهذا اليوم .

وأسرعت (منى) بارتداء الجيبة والبلوزة ، ثم وقفت أمام المرآة ، وعادت لتقف أمام عمتها ، التى كانت ترقبها بعين فاحصة قائلة :

ـ ما رأيك ؟.. هل أبدو بشكل مقبول فى هذه الثياب ؟

قالت عمتها وهى تسوى خصلة تهدلت على جبين الفتاة :

ـ اطمئنى .. إن هذه الثياب مناسبة تمامًا .

ثم تراجعت خطوتين إلى الوراء وهى تبتسم مستطردة :

- إن ما يسعدنى حقًا .. هو أن أراك وقد أصبحت تبدين اهتمامًا حقيقيًا بانتقاء ثيابك وبزينتك .. وهذا شيء لم يكن ملحوظًا من قبل .. ويعنى أنك قد بدأت تلتفتين حقًا إلى الجانب الأنثوى فيك :

وأحست (منى) بالخجل، وقد خيل لها وكأن عمتها تعرف ما يدور فى عقلها وقلبها .

وقالت لها وهى تحاول الهرب من ذلك الإحساس :

- أليس هذا هو ما كنت تريدين منى أن أفعله دائمًا ؟

قالت لها عمتها دون أن تتخلى عن نظرتها الفاحصة :

- وهل قررتِ أن تفعلى ذلك فجأة هكذا ؟ أم أن هناك سببًا آخر ...؟

- ماذا تعنين ؟

- (منى) .. أنت فتاة ذكية .. ولابد أنك تعرفين ما الذى أعنيه .

وقالت (منى) بلهجة تحذيرية :

- عمتى ..!

- يبدو أنك قد أصبحت تخفين بعض الأشياء عن عمتك وحبيبتك .

- ليس هناك ما أخفيه عنك .

- أتراهنين على ذلك ؟

- قالت (منى) بلهجة مرحة :

- من فضلك لا داعى لأن تلعبى معى الآن .. دور "مخبر السرى .. فقد تأخرت ..

- تأخرن عن مَنْ ؟

واضطربت (منى) قائلة :

- تأخرت عن الذهاب إلى الشاطئ .

- ومتى كنت تبكرين فى الذهاب إلى الشاطئ هكذا ؟

- عمتى .. إنك تبدين وكأنك تجرين معى تحقيقًا .. مع أنك لم تفعلى هذا معى من قبل خلال السنوات الماضية ..

- حبيبتى .. إننى لا أجرى معك تحقيقًا أو أى شيء من هذا القبيل .. إننى سعيدة لسعادتك واهتمامك بنفسك، على هذا النحو الذى لم أعهده فيك من قبل، وهذا ما يثير اهتمامى.

إن تأنقك بهذه الطريقة، واهتمامك بعدم التأخير، وتلك النظرة فى عينيك تعنى الكثير .. تعنى أن هناك تغييرًا ملحوظًا قد طرأ عليك خلال اليومين الماضيين ..

وعلى كل حال إذا كنتِ لا تريدين أن تخبرينى الآن .. فلا بأس .. ولو أنى أعتقد أن ذلك الذى تأخرت عن موعده محظوظ للغاية، لأنه استطاع أن يحدث فيك كل هذا التغيير خلال وقت قصير .

نظرت إليها (منى) بعتاب قائلة :

- عمتى .. هل نسيت أننى مخطوبة ؟

- ولكنك لم تتزوجى بعد .

ـ أتعنين أنه يمكننى أن أتخلى عن (حسين) ؟

ـ لو لم ينفتح له قلبك .. هذا هو رأيى الذى قلته لك من قبل .

إن الأمر فى النهاية مردّه لك .. ولكنى أؤيد دائمًا الزواج القائم على الحب .. وأن يكون الحب هو الأساس ، مهما كانت الآراء العقلانية التى يمكن أن تقال عكس ذلك ..

ـ ولكن تفكيرك ذهب إلى بعيد يا عمتى .. إن الحب ..

قاطعتها عمتها قائلة :

ـ ليس هذا وقت نقاش الآن .. فقد قلت إنك تأخرت .. ويتعين عليك ألا تؤخرى نفسك أكثر من هذا .

ووجدته واقفًا فى انتظارها . ورحب بها قائلًا :

ـ لقد تأخرت عن موعدك ربع ساعة ..

صافحته قائلة :

ـ آسفة !

ـ المهم أنك حضرت .

وبقى محتفظًا بيده فى يدها ، وقد أخذت عيناه تتأملانها على نحو أربكها .

ثم ما لبث أن قال :

ـ إنك تبدين فاتنة اليوم .

ابتسمت وهى تجذب يدها من يده ، محاولة إخفاء ارتباكها .

لقد كانت تدرك جيدًا وهى واقفة أمام المرآة اليوم ، أنها تريد أن تبدو فاتنة فى عينيه بالفعل .

وبرغم قلقها لإحساسها بذلك ، إلا أنها استمرت تتطلع لنفسها عدة مرات ، وهى تعيد تصفيف شعرها ، وتستخدم لمسات المكياج الخفيفة على وجهها ، كى تصبح جذابة فى عينيه .

سألها قائلًا :

ـ هل أنت مستعدة للتجوال فى حدائق المنتزة ؟

ـ على أتم الاستعداد .

ـ حسن .. هيا بنا ..

وسار بها حتى الطريق الإسفلتى الموازى للشاطئ ، حيث تقدمها بخطوات قليلة ليفتح باب سيارة (سبور) صفراء قائلًا :

ـ تفضلى ..

نظرت إلى السيارة بدهشة قائلة :

ـ هل هى سيارتك ؟

ابتسم قائلًا :

ـ وهل تظنين أننى قد اقترضتها ؟

- ولكنى لم أر معك سيارة خلال اليومين الماضيين ؟
- هذا لأننى أفضل السير أحيانًا .
وركبت بجواره حيث اندفع بسيارته عبر الطريق ، وقد بدا لها سائقًا بارعًا وعاقلًا فى قيادته .
التفت إليها قائلًا وكأنه يقرأ ما يدور فى رأسها :
- هل أعجبتك قيادتى ؟
- أعتقد أنك تقود بطريقة لا بأس بها .
- أشكرك على هذا التقدير .
وصمتت (منى) برهة قبل أن تقول :
- إنك لم تخبرنى عن عملك حتى الآن .
- إننى مهندس .. مهندس إنشاءات .
- لابد أن عملك يدر عليك دخلًا جيدًا لكى تقتنى سيارة كهذه ..
- تستطيعين أن تقولى إننى أحصل على دخل طيب بالفعل .. خاصة وأننى أمتلك مكتب مقاولات صغيرًا وأعمل لحساب نفسى ..
لقد ترك لى المرحوم والدى ذلك المكتب الهندسى ، وإرثًا لا بأس به ، استطعت أن أنميه من خلال عملى فى المقاولات ، والاستفادة من خبرتى فى الهندسة ..

- وماذا عن والدتك ؟ أعنى هل هى على قيد الحياة ؟
- لقد لحقت بأبى بعد أربع سنوات من رحيله .
- إننى آسفة ..
والتفت إليها قائلًا :
- وماذا عنك ؟
- لقد توفى أبى منذ بضع سنوات .. وكان كيميائيًا عظيمًا .. لابد أنك سمعت عنه .. الدكتور (فاضل فهمى) .. أما والدتى فهى ما زالت على قيد الحياة .. أطال الله فى عمرها .. ولقد تعودت أن أقضى إجازاتى هنا فى الإسكندرية مع عمتى التى تحيا بمفردها .. فى تلك الشقة القريبة من المنزل بعد أن توفى زوجها أيضًا .. وحرمت من الإنجاب .
- إذن فقد ورثت الاهتمام بالكيمياء عن أبيك ..؟
- إننى أستعد للحصول على الدكتوراة .
فاجأها بقوله وهو يحدق فيها :
- هل تعرفين ؟.. إن لك عينين فى لون زرقة مياه البحر .
وارتبكت قليلًا .. وقد انتزعها وصفه لعينيها ، وتلك النظرة المطلة من عينيه من حديثها الجاد .
ثم ما لبثت أن تنبهت إلى أنه ما زال ينظر إليها دون أن يركز عينيه على الطريق .. فهتفت قائلة :
- احترس !.. انظر أمامك ..

ابتسم قائلًا وهو يلقى نظرة على الطريق أمامه :

ـ لا تخافى .. لقد قلت بنفسك إن قيادتى لا بأس بها .

ثم تطلع إلى الأشجار التى تظلل الطريق قائلًا :

ـ على كل حال .. لقد وصلنا ..

هل تحبين أن نتوقف هنا .. ونواصل الطريق على قدمينا ؟

أومأت له بالموافقة .

تركا السيارة ليسيرا معًا جنبًا إلى جنب ..

سألته قائلة وهما يسيران وسط حدائق المنتزه الرائعة :

ـ لابد أنه سبق لك المجىء إلى هنا عدة مرات .

ـ نعم .. لقد جئت مرات عديدة .

ـ بمفردك ؟

وابتسم وهو ينظر إليها ابتسامة تنم عن فهمه لمغزى سؤالها .. وقال

ـ أحيانًا بمفردى وأحيانًا بصحبة آخرين .

ـ تقصد آخريات ؟

ـ هل يهمك أن تعرفى ذلك ؟

ـ كلا .. ولكن أظن أننا اتفقنا على أن نكون صديقين .. والأصدقاء لا يخفون شيئًا عن أصدقائهم .

ـ معك حق .. نعم بالفعل كانت هناك أخريات .. ولكن لا أريد أن تعتقدى بأنك واحدة منهن .. إنك تختلفين عنهن يا (منى) .

وكان هذا هو ما تتوقعه .. بالطبع بالنسبة لشاب وسيم يجيد الحديث مثله .. ولو أنها كانت تعتقد أنه يكذب بشأن اختلاف نظرته لها عن الأخريات .

★ ★ ★



٥ ـ صراع المشاعر ..

وتوالت اللقاءات بينهما .. كان كل يوم يذهب بها إلى مكان جديد .. بل إلى أماكن متعددة لم تكن قد رأتها من قبل فى الإسكندرية ..

وذات يوم جلست (منى) تحت المظلة على الشاطئ ترقبه وهو يسبح .. وقد أخذت تسائل نفسها ..

لقد أصبحت معتادة على رؤيته ومصاحبته .. حتى أصبح شيئًا هامًا فى حياتها ـ خلال تلك الأيام القليلة ـ أن تراه وأن تسمع صوته .

حتى فى تلك الساعات التى تنقضى ما بين لقاءاتهما لم يكن لديها ما يشغلها سوى أن تترقب لحظة لقائه ..

لقد انشغلت عن عملها وعن رسالة الدكتوراة ، وتلك الأمور التى لم تكن تبرح عقلها على نحو لم تعهده فى نفسها من قبل .. وأصبح تفكيرها فى ذلك الرجل يشغل جزءًا كبيرًا من عقلها وقلبها .

لقد تعمقت أواصر الصلة بينهما ، وازدادا تقاربًا خلال تلك الأيام بطريقة سريعة وغير مألوفة .

وكان السؤال الذى يلح الآن على عقلها ويشغل تفكيرها هو :

هل ما زالت تستطيع أن تطلق على ما بينهما لفظ الصداقة ؟ أو الإعجاب فقط ؟ أم أن شعورها نحوه فى سبيله لأن يتجاوز ذلك بالفعل ؟

وظل هذا السؤال يلح عليها منذ الليلة الماضية ، على نحو أقلقها وحرمها النوم .

وصعد (مدحت) إلى الشاطئ بقوامه الفارع المتناسق ، ليتناول المنشفة الموضوعة على المقعد المجاور لها ، وقد أخذ يجفف جسده وهو يرقبها قائلًا :

ـ إن البحر اليوم رائع .

ابتسمت قائلة :

ـ يبدو أنك لست سائقًا جيدًا فقط .. ولكنك تسبح بمهارة أيضًا .

ضحك قائلًا :

ـ ربما لأننى حاولت أن أحظى بإعجابك .. ولو أنى كنت أرقبك بدورى وأنا أسبح .. وقد بدا لى أنك شاردة بعض الشىء .

ـ لا .. إننى فقط لم أحصل على ساعات كافية من النوم ليلة أمس .

ابتسم وهو يتمدد على رمال الشاطئ بجوار المقعد الذى تجلس عليه قائلًا :

- لا تقولى إنك حرمت من النوم بسبب التفكير فىَ ..

ولولا كبرياء الأنثى بداخلها ، لأخبرته أن هذه هى الحقيقة .. ولكنها اكتفت بالابتسام .

استطرد قائلًا :

- على كل حال .. لا تحاولى أن تنتحلى أية أعذار اليوم ، فقد قررت أن تتغدى سمكًا و (جمبرى) فى (أبو قير) .. وأنا متأكدٌ أنك ستقضين وقتًا طيبًا هناك ، وتستمتعين بأكلة سمك شهية لم تحظى بها من قبل .

- ألا يمكن أن نؤجل ذلك ليوم آخر ؟

- لقد قلت لك إننى لن أقبل أية أعذار ..

- ولماذا نذهب إلى (أبو قير) ؟

- عندما تتناولين الأسماك الطازجة التى يعدها (عم خليفة) ، ستعرفين السبب .

ضحكت قائلة :

- يبدو أنك زبون قديم .

- تستطيعين أن تقولى : زبون دائم .. فلا يمكن أن آتى إلى الإسكندرية ولا أذهب لزيارة مطعم (عم خليفة) .

- وكم فتاة اصطحبتها إلى مطعم (خليفة) هذا ؟

وقبل أن يقول شيئًا سبقته بالحديث قائلة :

- لا تقل شيئًا .. سأقول لك أنا .. « لقد صاحبت فتيات كثيرات إلى هناك ولكنك تبدين مختلفة عنهم » .

وأطلق (مدحت) ضحكة عالية شاركته فيها ..

ثم ما لبث أن توقف عن الضحك مرة واحدة ، وهو ينظر فى عينيها نظرة عميقة قبل أن يقول :

- ألا يمكن أن تصدقينى قليلًا .. لو أخبرتك إن هذه هى الحقيقة بالفعل .. وإنك مختلفة عن كل الفتيات الأخريات اللواتى عرفتهن ؟

جلسا يتناولان الطعام معًا .. كان المطعم صغيرًا ويبدو شعبيًا .. لكنها بالفعل لم تتناول أشهى من السمك والجمبرى الذى تناولته فى هذا المكان .. ووضح أن (مدحت) كان زبونًا دائمًا فى هذا المكان ، لأن صاحب المطعم أولاه عناية خاصة .. واهتم بالإشراف على إعداد الطعام بنفسه .. والسؤال عما إذا كان قد نال إعجابهما أم لا .

سألها قائلًا :

- ألم أكن محقًا فى إشادتى بالطعام هنا ؟

- لقد استمتعت بالفعل بوجبة شهية .

وتأمل وجهها قليلًا قبل أن يقول :

ـ هل من حقى أن أسألك سؤالًا شخصيًا ؟
ابتسمت قائلة وهى تتناول جرعة من زجاجة المياه الغازية :
ـ هذا يتوقف على طبيعة السؤال .
ـ هل يوجد أحد فى حياتك ؟.. أعنى هل أنت مرتبطة بشخص ما ؟
ابتسمت له قائلة بسخرية :
ـ لماذا ؟.. هل تريد أن تخطبنى ؟
ـ ربما .. إنك على كل حال فتاة تستحق أن يفقد المرء حريته التى يعتز بها من أجلها ..
قالت بأسلوبها المرح :
ـ لا .. عليك أن تصر على الاحتفاظ بحريتك .
ـ إننى أتحدث حديثًا جديًا .
ـ لقد اتفقنا على أننا أصدقاء فقط .. ولا شىء أكثر من ذلك .
ـ وقد اتفقنا أيضًا على أنه لا أسرار بين الأصدقاء .
ـ حسن .. يا صديقى .. لا ارتباط فى حياتى إلا بعملى ودراستى .
وأحست بأنها قد رأت معالم الارتياح على وجهه لدى سماعه لهذه الإجابة ، أما هى فلم تشعر بارتياح كبير من جراء ما قالته .

لماذا كذبت ؟ ولماذا أنكرت أنها مخطوبة لـ (حسين) ؟ وكيف تسنى لها أن تأخذ الأمر بمثل هذه الاستهانة الشديدة ؟!
ما كان يتعين عليها أن تخفى حقيقة خطبتها حتى لو أثار عدم احتفاظها بالخاتم تسؤلاته ..
وما كان يتعين عليها أيضًا أن تكذب عليه فى هذا الشأن ..
إنها لا تدرى .. ماذا ألم بها منذ أن تعرفت ذلك الشاب ؟ إنها تطلق العنان للدعابة والمرح على نحو لم يكن معهودًا فى حياتها من قبل ....
وها هى ذى تخفى موضوع خطبتها لـ (حسين) باستهانة كبيرة .
وتساءلت وقد اعتراها قلق حقيقى .. ترى .. هل فقدت احترامها لنفسها ؟
وأتى صوت من داخلها ليخفف عنها هذا الشعور الثقيل قائلًا :
ـ لا داعى لتجسيم الأمر ، وتأنيب نفسك على هذا النحو .. فلا ضير من بعض اللهو والمرح البرىء ومادمت لا ترتكبين أخطاء .. إنها فرصة للتحرر ولو قليلًا من شخصية الباحثة الجادة الجافة العواطف التى سمحت لنفسها بأن تتقمصها كل تلك السنوات ..

ثم إن خطبتك أمر يخصك أنت ، ولا شأن للآخرين بمعرفته أو عدم معرفته .

ووجدت نفسها تسأله وقد أقنعت ضميرها بهذا المنطق :

ـ وأنت .. ألا يوجد ارتباط بينك وبين شخص ما ؟

ـ إذا كنت تقصدين ارتباطًا بالمعنى العاطفى أو الرسمى .. فلا يوجد .. ولكن إذا كنت تقصدين علاقات مع الجنس الآخر .. فأنا أعترف بأن لى منها الكثير .. ولقد أخبرتك بذلك من قبل .

ـ وهل تبدأ علاقتك مع كل منهن بادعاء الصداقة .. كما تفعل معى الآن ؟

نظر إليها قائلًا :

ـ ألست واثقة من نفسك ؟

ـ بلى ..

ـ إذن .. فلماذا أنت قلقة ؟

ـ إننى لست قلقة .. ولكنى أردت أن أحذرك .. إننى لن أسمح بتجاوز حدود الصداقة ، لأنضم إلى قائمة فتياتك اللواتى تنطوى كلمة الصداقة معهن على معنى آخر .

ابتسم (مدحت) وهو يتأملها .. فأثار هذا غضبها وسألته بحدة قائلة :

ـ لماذا تبتسم ؟

ـ إنك تبالغين فى تحذيرك لى ، على نحو يوحى بالفعل بأنك غير واثقة من نفسك ..!

ازدادت ملامح الغضب على وجهها وهى تقول له :

ـ إننى لا أحب أن تتهمنى بعدم الثقة بالنفس .

ضحك قائلًا :

ـ حسن .. لا تغضبى .. ربما كنت أنا الذى أفتقد الآن القدر الكافى من الثقة .

ـ أنت ...؟

ـ نعم .. إننى غير واثق من أننى سأستطيع أن أكتفى بدور الصديق أكثر من ذلك ..

وعادت لتقول بلهجة تحذيرية :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى .. أننى ربما أكون فى طريقى لأن أحبك ..!

نهضت واقفة وهى تقول :

ـ هذا ما كنت أخشاه ..

وتلفت حوله وهو يدعوها إلى الجلوس قائلًا :

ـ إنك تلفتين إلينا الأنظار .

قالت له :

ـ إننى سأضطر للانصراف ..

نهض بدوره وهو يشير لصاحب المطعم كى يدفع الحساب ، فى حين كانت هى قد سبقته إلى الخارج .

لحق بها قائلًا :

ـ هل أغضبتك إلى هذا الحد ؟

قالت له وهى تنظر أمامها دون أن تلتفت إليه :

ـ نعم .

ـ إننى صارحتك بحقيقة مشاعرى ؟

ـ إننى لست فتاة ساذجة .. لكى تحاول أن تمثل عليها مثل هذا الدور ..

استوقفها قائلًا :

ـ أنصتى لى جيدًا .. إننى لم أكن صريحًا مع أحد بقدر صراحتى الآن .. فالأيام القليلة التى قضيناها معًا ، جعلتنى أشعر نحوك بمشاعر لم أشعرها تجاه أى شخص آخر .

ربما لا يمكننى الحكم على هذه المشاعر بشكل واضح الآن .. ولكنى أشعر بأن هناك شيئًا مختلفًا يحدث لى منذ أن عرفتك .. شىء يجعلنى أزداد تعلقًا بك من يوم إلى آخر .. ويقودنى إلى عاطفة لم أعرفها فى حياتى من قبل .

ـ أيًا كان ما تقوله ، فنحن لم نتفق على ذلك منذ البداية .

ـ (منى) .. إن هذه الأمور تتعلق بالمشاعر .. والمشاعر لا تحكمها الاتفاقات .

ـ إذن فهذه المشاعر تخصك أنت وحدك .. ولست بحاجة حتى لأن تطلعنى عليها ، أو تشركنى فيها .

ـ ولكنها مشاعرى نحوك .

ـ وأنا لا أثق بك ..

نظر إليها (مدحت) قائلًا

ـ إلى هذا الحد ؟

وأحست مرة أخرى بأنها قد أساءت إليه .. فقالت بصوت خافت :

ـ (مدحت) .. لقد اتفقنا على أن نكون صديقين .. فلماذا تفسد ذلك الشىء الجميل بيننا ؟

وأطلق زفرة قصيرة قائلًا :

ـ إذن فأنت لا تحبيننى .

وصمتت دون أن تجيبه .

فعاد ليقول لها :

ـ ولا يمكن أن تحبينى ذات يوم .

ـ لا أستطيع أن أعدك بذلك .. لقد كنت حتى اليوم صديقًا رائعًا .. ولم يعد متبقيًا لى فى إجازتى الصيفية سوى يومين .. كن معى ذلك الصديق الذى عرفته حتى الآن .. وليترك كل منا للآخر ذكرى طيبة .

ـ وأنا أيضًا لا أستطيع أن أعدك بأن أكون مجرد صديق .

ـ إذن فأنت تريد أن تفسد الصلة الطيبة التى جمعت بيننا .

ـ بالعكس إننى أتمنى لهذه الصلة أن تتوطد .. إذا كنت تريديننى صديقًا يصاحبك فى تعرف معالم الإسكندرية .. حسن سأبقى ذلك الصديق .

كل ما هنالك أننى لا أستطيع أن أعدك بألا أتحول ذات يوم إلى حبيب لك كما لاتستطعين أنت أن تعدى بأن تحبينى .

إذن فلندع الأمور لتسير فى مجراها الطبيعى دون وعود أو شروط .. ولنر ما الذى سيفعله القدر .

ـ ألا تعتقد أنك تناور ؟

قال لها بنبرة هادئة :

ـ ألا تعتقدين أنت أنك تعاملينني بجفاء لا مبرر له ؟

أجابته (منى) بنفس الهدوء :

ـ (مدحت) .. بعد يومين سأغادر الإسكندرية .. وسينتهى الأمر بيننا عند هذا الحد ..

ـ أيعنى هذا أننا لن نستطيع أن نتقابل .. أو نتحدث معًا مرة أخرى بعد عودتك إلى القاهرة ؟

قالت (منى) وهى مطأطئة الرأس حتى تخفى عنه مشاعرها :

ـ نعم .

ـ حتى الأصدقاء لا يمكن أن ينتهى الأمر بينهم دون مبرر وبمثل هذه السرعة .

ـ فلتعتبرها صداقة صيف .

أمسك بذراعها وهو يحدق فى وجهها قائلًا بجدية :

ـ (منى) .. هل ضايقتك فى شىء ؟

وصمتت دون أن تجيبه ، ودون أن تجرؤ على النظر إلى عينيه .. فعاد ليقول لها :

ـ هل تجديننى شخصًا مزعجًا ؟ ألا تثقين بى حقًا ؟

نظرت إليه وهى تجاهد فى أن تخفى عنه انفعالاتها قائلة :

ـ بالعكس .. إنك أول شخص أرتاح إليه ، وأسمح لنفسى بأن أثق به إلى هذا الحد .

ـ إذن .. فلماذا تحاولين قطع الصلة بيننا ، ووضع الحواجز فى طريق مشاعرنا ؟

وهمت بأن تقول له بأنها تفعل ذلك خوفًا من مشاعرها نحوه ، وأنها تخشى أن تكون قد أحبته بالفعل .. لذا فهى لاتريد للصلة بينهما أن تتعمق إلى أكثر من ذلك .

إنها الآن تتمنى لو لم تندفع وراء مشاعرها منذ البداية ..

تتمنى لو أن الأقدار لم تضعه فى طريقها ، لتجرب معه تلك الأحاسيس التى لم تجربها من قبل .. فربما كان هذا قد جعل الأمور أفضل وأيسر مما هى عليه الآن .

ولكنها لم تستطع أن تقول شيئًا من هذا .

بل إن عليها أن تجاهد لكى تخفى حقيقة مشاعرها نحوه .

قالت له :

ـ (مدحت) .. أرجوك أوصلنى الآن إلى المنزل .

قال لها (مدحت) بإصرار :

ـ ليس قبل أن تجيبى عن سؤالى .

اندفعت عبر الطريق قائلة :

ـ إذن سآخذ سيارة أجرة .

ولحق بها وهى تشير إلى سيارة الأجرة قائلًا :

ـ انتظرى !

ولكنها كانت قد سبقته واستقلت السيارة التى حملتها إلى المنزل .

★ ★ ★

٦ ـ الحب .. والواجب ..

ظلت (منى) تروح وتغدو فى غرفتها وهى ساهمة .. لقد مرت فترة الصباح دون أن تراه .. وأحست بأنها تفتقده .

لقد اعتادت أن تلتقى به فى ساعة مبكرة .. ويقضيا معًا معظم ساعات اليوم ، دون أن تشعر بكلل أو ملل .. بل بالعكس كانت تشعر بأن اليوم يمر سريعًا ومبهجًا .

وها هى ذى قد حرمت من هذه البهجة .. وجلبت لنفسها الكآبة والأسى بحماقتها فى التصرف معه فى لقائهما الأخير .

ولكن كان يتعين عليها أن تفعل ذلك .. كان يتعين عليها أن تبتعد عنه ، قبل أن تتورط فى عاطفتها تجاهه ..

لم يعد متبقيًا لها فى الإسكندرية إلا الليلة وغدًا .. وبعدها ستعود إلى القاهرة وإلى عملها .

عملها الذى تحبه ودراستها التى تستهويها .. وباستغراقها فى عملها ودراستها ستنسى (مدحت) .. وتنسى الأيام القليلة التى قضتها معه .

ونظرت من نافذة غرفتها وهى تتساءل فى حيرة ..

هل ستستطيع حقًا أن تنساه ؟ وهل تنقضى تلك الساعات التى تبقت لها فى الإسكندرية دون أن تلتقى به مرة أخرى أو تراه ؟

إن ذلك يبدو قاسيًا وصعبًا بالنسبة لها ..

لقد أحبته .. ما فى ذلك من شك .. وكان يتعين عليها - إذا أرادت لنفسها ألا تنزلق وراء هذا الحب - أن تمتنع عن لقائه منذ البداية .. وألا تخدع نفسها بكلمات الصداقة واللهو البرىء .

أما الآن فإن الأمر يبدو أكثر صعوبة وأكثر قسوة على نفسها وقلبها ، ودخلت عمتها عليها وهى على هذه الحال .. وبدا وكأنها تشعر بما تعانيه .. فسألتها قائلة :

- إنك لم تغادرى المنزل اليوم ؟

وجاهدت (منى) لكى ترسم ابتسامة مصطنعة على وجهها قائلة :

- هل سئمت من وجودى معك فى المنزل يا عمتى ؟

قالت لها عمتها بلهجة جدية وهى تتأملها :

- أنت تعرفين حقيقة ما أقصده .. إننى لم أحاول أن أكلمك بالأمس ، ولكنك تبدين فى حالة غير طيبة .

كما أنك اعتدت فى الأيام القليلة الماضية أن تقضى أوقاتًا مرحة وطيبة خارج المنزل ، بصحبة ذلك الشاب

الذى حدثتنى عنه .. وكنت تبدين أمامى مبتهجة وفى حالة معنوية مرتفعة للغاية .. فما الذى حدث ؟

قالت لها (منى) وهى تدير وجهها إلى الجهة الأخرى ، حتى لا تتبين عمتها ما طرأ عليه من ذبول وما يكشف عنه من أسرار كآبتها :

- لم يحدث شىء .. كل ما هنالك أننى أردت أن أريح نفسى اليوم ، وأن أبقى فى المنزل .

واقتربت منها عمتها لتواجهها قائلة :

- لقد كنت صريحة معى خلال الأيام الماضية .. فهل ستعودين مرة أخرى إلى مناورة عمتك ؟

هل تخاصمتما ؟.. أعنى أنت و (مدحت) ؟

قالت (منى) وهى تخرج الكلمات من بين شفتيها بصعوبة :

- يبدو أن العلاقة بيننا قد أخذت تتطور خلال اليومين الماضيين .

نظرت إليها عمتها بعينين متفحصتين قائلة :

- تتطور إلى أى حد ؟

- لقد أخبرنى بالأمس أنه يكن لى شعورًا خاصًا .. وأنه ربما أحبنى ..

- وهل شعرت بأنه صادق فيما يقوله ؟

- مما رأيته فى عينيه فإنه يبدو صادقًا بالفعل .

- إذن فقد صارحك بحبه لك .

- ليس بهذا التحديد .. ولكنه أخبرنى بأنه برغم صداقتنا التى دامت حتى الآن ، فإن مشاعره نحوى قد تأخذ اتجاهًا آخر .

- وأنت ؟ ما هى مشاعرك نحوه ؟

- هذه هى المشكلة .. فأنا أشعر أيضًا بأننى أزداد تعلقًا به .. وأننى .. ربما .. ربما ..

وبدا عليها الخجل من نطق الكلمة .. فأكملتها عمتها قائلة :

- أحببته .. أليس كذلك ؟

وصمتت (منى) دون أن تجيب .. فاستطردت عمتها قائلة :

- إذن فما هى المشكلة ؟

- إننى لم أشأ أن تكون بيننا أية عاطفة من ذلك النوع .

- ولكنك أعجبت به منذ اللحظة الأولى التى رأيته فيها .. وكان عليك أن تضعى فى حسبانك أن هذا الإعجاب ربما ينمو من ناحيتك أو ناحيته ليصير حبًا .. وهذه الأمور طبيعية .. فالمشاعر تنمو كما تنمو الأجساد ، وكأى شىء يبدأ صغيرًا ثم يكبر تدريجيًا .

إنك تعرفين ذلك بلا شك يا أستاذة (منى) .

- ربما أكون قد أعجبت به .. ولكنى أردت أن نكون صديقين فقط ، وأن أفعل شيئًا جديدًا فى حياتى .

أن أصادق شابًا متفتحًا ومهذبًا .. وأن أذهب إلى أماكن مختلفة عن تلك التى اعتدتها ، خاصة وأننى لا أملك أية صديقات فى الإسكندرية برغم ترددى عليها مرات عديدة .. وأن أخرج من جمود شخصية الباحثة الكيميائية ولو لبضعة أيام تنقضى وتعود الأمور إلى طبيعتها .

- ولكنك نسيت أن المشاعر الإنسانية لا تخضع لخطط تشابه تلك التى توضع لمناهج البحث العلمى .

إنها أمور لا تستطيعين التحكم فيها وتوجيهها الوجهة التى تريدينها دومًا ، وكان عليك أن تتوقعى شيئًا كهذا .

- ولكنى لم أشجعه مطلقًا على أن يتقارب معى على هذا النحو .

- وهل كان فى حسبانك أنك ستحبينه ؟

- لذا أنا هنا اليوم .. لقد قررت أن أنهى الأمر بيننا عند هذا الحد .

- وهل أنت سعيدة لأنك اتخذت هذا القرار ؟

- إن هذا سيكون أفضل لى وله .

- ولكن الحالة التى أراك عليها تقول عكس ذلك .

ـ أيًا كان الأمر .. كان يتعين على أن أنهى أية صلة بيننا قبل أن نجد أنفسنا وقد تطورنا فى عاطفة قوية .

ـ أتخشين الحب إلى هذا الحد ؟

قالت (منى) :

ـ إن مثلى لم تخلق للحب ..

ـ هذا ادعاء غير حقيقى .. إنك فتاة تمتلئ بالحب والمشاعر والإقبال على الحياة .

ولن تنجحى فى إخفاء ذلك طويلًا .. برغم القناع الذى ترتدينه .. والدليل على ذلك هذا التغيير الكبير الذى طرأ على شخصيتك .. وتصرفاتك خلال الأيام الماضية عندما قابلت الشخص الذى تفتح له قلبك .

ـ ولكن يبقى هذا خروجًا على الوضع المألوف فى حياتى .. فحياتى الحقيقية بين معامل الأبحاث .. وأمامى هدفى أسعى إلى تحقيقه .. وهو أن أحقق سبقًا علميًا فى مجال الكيمياء لم يسبقنى إليه أحد .

أريد أن أقدم خدمة حقيقية لبلدى وللبشرية ، وأن أضع اسمى فى مصاف العلماء المعروفين على المستوى الدولى .

تأملتها عمتها قائلة :

ـ تستطيعين أن تحققى ذلك .. دون أن يكون على حساب مشاعرك وإنسانيتك ..

يمكنك أن تكونى العالمة المشهورة التى تريدينها .. وأن تكونى الإنسانة التى تحب أيضًا .. فأنا لا أرى تعارضًا بين هذا وذاك .

وهناك الكثيرون ممن حققوا نجاحًا فى حياتهم العملية والعلمية دون أن يضحوا بمشاعرهم الإنسانية .

ـ إن هذا أمر نادر الحدوث .. ثم إننى لا أسعى وراء نجاح عادى .. بل وراء نصر علمى يحدث دويًا فى الأوساط العلمية .

ـ أخشى أن تفقدى نفسك وأنت تلهثين وراء طموحاتك .

صدقينى يا بنيتى إننى امرأة خبرت الحياة وتعلمت منها الكثير .. وقد خرجت من كل ذلك برأى لن أحيد عنه .. وهو أنه لا شىء يعادل عاطفة حقيقية تجمع بين اثنين .. إنك تحبين هذا الشاب ، وأنا أرى ذلك واضحًا فى عينيك وفى تصرفاتك الأخيرة .. وقبل أن تصرحى لى به .. وإذا فقدته فسوف تندمين كثيرًا على ذلك .. ولن تعادل خسارتك له أى نجاح تحققينه فى المستقبل .

ابتسمت (منى) قائلة :

ـ عمتى .. إنك عاطفية أكثر من اللازم .

ـ وأنت طموح أكثر مما يجب .

ـ حتى لو فكرت فى أن أدع نفسى تنساق وراء هذه العاطفة .. وحتى لو تخليت عن بعض طموحاتى .. هناك شىء آخر يتعين على أن أضعه فى حسبانى .. وهو أننى مخطوبة لـ (حسين) .

ـ ولكنك لا تحبين خطيبك .

ـ إننى و (حسين) متقاربان .. فنحن نحب نفس الأشياء ولدينا نفس الطموح .. إنه أكثر شخص يستطيع أن يقدر طبيعة عملى ؛ لأنه يشاركنى إياه .. كما أنه يقف بجانبى ويشجعنى دائمًا على السعى وراء تحقيق هدفى .. بل إنه يساعدنى على ذلك .. كما أننى أعرف أنه يحبنى أيضًا ومستعد لعمل أى شىء من أجلى ..

ـ كل هذا صحيح .. وأقدره .. ولكنه لا يغير من حقيقة أنك لا تحبينه ..

لم تجربى معه ولو للحظة واحدة ذلك الشعور الذى تعيشينه الآن ..

ـ من المؤكد أننى سأحبه .. فربما إذا تزوجنا ...

قاطعتها عمتها قائلة :

ـ إذا تزوجته دون حب حقيقى .. فقد لا تجدينه أبدًا .. وربما تألم لزواجه من فتاة يحبها ولا يجدها تبادله مشاعره .

ـ لن أجعله يشعر بذلك أبدًا .

قالت عمتها فى حنكة :

ـ ولكنه سيحسه .. بالتأكيد .. سيشعر بأنك لا تبادلينه عاطفتـــه ، وسوف يتألـــم لذلك .. ستظلميـــن نفسك وستظلمينه معك .

وانفعلت (منى) قائلة :

ـ عمتى .. لماذا تعقدين الأمور هكذا ؟

قالت عمتها بهدوء :

ـ إننى لا أريد لك إلا السعادة .. ولا أريد لك أن تجربى التعاسة التى عشتها فى فترة من حياتى ..

نظرت إليها (منى) بدهشة مرددة :

ـ التعاسة ؟

ـ نعم .. قبل أن أتزوج من المرحوم زوجى ، عشنا قصة حب قصيرة .. كانت أسرته وأسرتنا جيرانًا .. ونشأ بيننا تعارف ثم إعجاب وسرعان ما تحول إلى حب .

ولكن عندما تقدم للزواج منى .. لم يوافق أبى عليه .. وكذلك أبوك .. كانا يريان أنه فقير .. ولا يهدف من وراء هذه الزيجة إلا الحصول على الميراث الذى خلفته لى أمى ..

وقد حاولنا كثيرًا إقناعهما بعكس ذلك ، حتى أننى أبديت استعدادى للتنازل عن ميراثى من أمى ، ووافقنى هو على ذلك ؛ لأنه كان يحبنى حبًا حقيقيًا وصادقًا ..

كان أبى يقيس كل الأمور بمقاييس مادية وتجارية بحتة .. وكان أبوك من ذلك الطراز من الرجال الذين لا يفكرون إلا بعقولهم ولايدخلون العواطف فى حسابهم .

وعندما يئس الشاب الذى أحببته من الحصول على موافقتهما على الزواج .. حاول أن يدفعنى إلى الزواج منه دون الحصول على موافقتهم ، ومرافقته للسفر إلى الخارج .. ولكنى رفضت .. أو بمعنى أدق لم أجرؤ على مشاركته فى تنفيذ ذلك . وسافر هو بمفرده .. ثم تقدم لى بعدها شخص آخر ميسور الحال وبه كل المميزات التى تجعله مقبولًا من أبى .. ولم يعترض أخى عليه ، وحاول أن يقنعنى بأنه الشخص الأصلح للزواج .. وأنه يتعين على ألا أستقبله بمنطق الرفض المسبق ..

وهكذا تزوجنا .. وحاولت أن أقنع نفسى بأن المعاشرة والتقارب والمعاملة الطيبة ستأتى بالحب ونصنع زواجًا ناجحًا .

وفى الحقيقة كان الرجل الذى تزوجته فى هذه الفترة يعاملنى معاملة طيبة للغاية ، وبذل كل جهده لإرضائى ... ولكنى لم أستطع أن أمنحه الحب الذى يحتاج إليه .

كان بيننا الاحترام والثقة وحسن المعاشرة .. لكن بقى الحب مفقودًا على الأقل من جانبى .

فقد كان قلبى مع ذلك الآخر الذى رحل .. وبرغم أن أيًا منا لم يلتق بالآخر ، ولم يحاول حتى أن يتتبع أخباره أو يراسله طوال فترة زواجى من زوجى الأول ، إلا أن مجرد تفكيرى الدائم فيه كان يشعرنى بتأنيب الضمير .. وبأننى زوجة غير مخلصة .. وكانت هذه هى التعاسة الحقيقية .

ويبدو أن زوجى الأول قد أحس بذلك .. وأيقن أننى أحيا معه بجسدى دون مشاعرى ، وكان هذا بدوره يؤلمه وينغص عليه حياته .

لم يكن يتحدث إلىّ فى هذا الأمر كثيرًا .. ولكن كان يبدو واضحًا فى عينيه وفى نظرته لى .

وهكذا .. جلسنا معًا ذات يوم وقال لى بهدوء إنه لم يستطع أن يمنحنى السعادة التى أنشدها برغم كل محاولاته .. كما أننى لم أمنحه الحب الحقيقى الذى تمناه برغم أننى حاولت .. وطلب منى أن أخبره بصراحة عما إذا كنت أرغب فى الاستمرار معه ، أم فى الانفصال عنه .. وأنه سيتقبل قرارى أيًا كان بصدر رحب .. ولن يكون طامعًا بعد ذلك فى أن يحوز حبى لو وافقته على الاستمرار معه .. كما أنه سيكون متفهمًا لو أردت الانفصال عنه .

وطلبت أن ننفصل .. وهكذا حدث الطلاق بيننا .

وكانت المحصلة زيجة فاشلة برغم كل ما توفر لها من أسباب النجاح ، وتجربة خلفت الألم لشخص أراد أن يحصل على الحب من زوجته التى أحبها ، ولم تقدر هى أن تمنحه له .. وكانت بدورها تتألم لعجزها عن ذلك .. وذات يوم عاد الرجل الذى أحببته ، ووجدته ما زال محتفظًا بحبه لى فى قلبه ، كما احتفظت بحبى له فى قلبى .. وكان والدى رحمه الله قد توفى قبل عودته بعدة أشهر .. وكان حبيبى قد استطاع أن يحقق نجاحًا ماديًا لا بأس به من خلال عمله فى الخارج .

وفى هذه المرة لم يستطع والدك أن يعارض ، بعد أن اكتشف خطأه فى حقى ، يوم أن أصر على مشاركة أبى فى رفض الشخص الذى أحببته ، وزواجى من شخص لا أحمل له أية عاطفة .

وكلل حبنا فى النهاية بالزواج .. وتحقق لكل منا ما يصبو إليه من سعادة حقيقية ، قائمة على الاحترام والمودة .. والأهم من ذلك على الحب الذى بقى حيًا فى قلبينا .. ولم يهتز قط طوال حياتنا معًا وحتى فارق الحياة .. ومازلت أحتفظ بحبه فى قلبى .

قالت (منى) بعد أن استمعت إلى قصتها :

ـ لا شك أن كلًا منكما كان يحمل نحو الآخر مشاعر عظيمة وقوية .. ولكن ليست كل علاقة زوجية قائمة على الحب ، تحقق ذات النجاح الذى أحرزتماه فى علاقتكما الزوجية .. فكثير من الزيجات التى قامت على الحب فشلت فى الاستمرار فيه حتى النهاية .

ـ هل أنت مقتنعة بأنك ستنجحين فى زيجتك مع (حسين) ؟

لو كنت بالفعل الفتاة العملية ذات الطموح العلمى بالصورة التى تحاولين أن تقنعى بها نفسك ، وتقنعى بها الآخرين .. فربما وافقتك على أن احتمالات النجاح والتوفق بالنسبة لزيجة كهذه ستكون مرتفعة وستضمن لكما حياة مثالية .

ولكنك إذا خدعت نفسك وخدعت الآخرين ، فلن تستطيعى أن تخدعى عمتك .

إننى أراك من الداخل .. وأعرفك منذ نعومة أظفارك .. إن بداخلك فتاة رومانسية رقيقة المشاعر .. سجنتيها .. ولم تتيحى لها الفرصة لكى تعبر عن نفسها .. لأنك عشت دائمًا وراء أحلام أبيك وتقمصت الشخصية التى أرادها لك .. فلم تتيحى لـ (منى) الحقيقية أن تعبر عن نفسها .

- ربما كان ما تقولينه صحيحًا .. ولكن (منى) الزائفة أو (منى) الحقيقية لا يمكنها أن تتخلى عن التزامها .

- أى التزام ؟

- التزامى نحو (حسين) .. ليس الحب أو التقارب أو أى من تلك الأشياء هو الذى يدفعنى إلى ضرورة الارتباط بـ (حسين) .. بل الالتزام .. وأعتقد أنك تعرفين الالتزام الذى يقع على عاتقى تجاهه .

وصمتت عمتها وهى لا تعرف ماذا تقول لها ..

★ ★ ★



٧ - لا ترفضى حبى ..

وبعد أن مرت لحظات صمت طويلة بينهما ، اقتربت منها عمتها لتضع يدها على كتفها قائلة :

- امنحى قلبك فرصة لكى يتلمس طريقه يا بنيتى .

- عمتى .. إننى ...

قاطعتها قائلة :

- إنك تعانين .. أعرف ذلك .

- أعتقد أننى لن أراه بعد اليوم .

- إذا كان يحبك فلن يتوانى عن المحاولة لكى يراك .

ونظرت (منى) إلى ساعتها .. ثم عادت لتروح وتغدو داخل الحجرة ، وقد بدت على وجهها صورة مجسمة لمشاعر شتى تتنازعها ..

قالت عمتها :

- ألا ترغبين فى التطلع إلى مشهد الغروب من الشاطئ هذا اليوم ؟

نظرت إليها (منى) قائلة بتردد :

- بلى .. أعتقد أنه يتعين على الذهاب الآن لكى ألحق بالشمس قبل أن تغرب .

قالت عمتها مبتسمة :

ـ وربما رأيته هناك .

قالت (منى) وفى صوتها رنة رجاء :

ـ أتظنين أنه سيأتى ؟

ـ إنه يعرف أنه الوقت المفضل لديك للذهاب إلى الشاطئ .. ولابد أنه سيسعى إلى الذهاب إلى هناك لكى يراك .

وبدا على (منى) بعض الارتباك ، ثم اندفعت فى اتجاه الباب وهى تهم بالخروج . استوقفتها عمتها قبل أن تغادر المنزل قائلة : .

ـ كما قلت لك .. لا تغلقى كل الأبواب .. وامنحى قلبك الفرصة لكى يتلمس طريقه .

تنهدت (منى) قائلة :

ـ كما قلت لك يا عمتى .. هناك أشياء كثيرة تحول بينى وبينه ، أهمها التزامى تجاه (حسين) .. ولكن كل ما أريده فى هذه اللحظة هو أن أراه وألا أترك فى نفسه انطباعًا سيئًا عنى .

وانصرفت (منى) فى طريقها إلى الشاطئ .. وقد أخذت تمنى نفسها برؤيته .. هذه المرة كانت مشغولة تمامًا عن مراقبة قرص الشمس الأحمر الدامى ، وهو يغوص فى مياه للبحر الممتدة أمامها ....

كانت تبحث عن (مدحت) بلهفة كما لو كانت أمًا تبحث عن وليدها المفقود .

لقد اشتاقت إليه كثيرًا .. وأحست بأن اليوم قد مر عليها ثقيلًا ومملًا ؛ لأنها لم تره وتسمع صوته كما اعتادت خلال الأيام الماضية .

وانطلقت أنة .. حزينة من صدرها وهى تقول :

ـ آه .. يا ربى !.. لماذا وضعته فى طريقى ؟

ومرت الساعات طويلة .. وغربت الشمس .. ومر على غروبها ساعتان .. لكنه لم يحضر .

وأحست بوحدة ثقيلة تجثم على نفسها .. وتحولت لهفتها إلى مزيد من الشعور بالاكتئاب وهى عائدة إلى منزل عمتها .

إنها ستغادر الإسكندرية غدًا دون أن تراه .. فقط كانت تتمنى لو رأته قبل أن تسافر ..

ولكن ربما كان هذا أفضل .. فما جدوى أن تلتقى به مرة أخرى إلا المزيد من المتاعب ؟!

إن عليها أن تتمسك بقرارها السابق ، وهو أن تكتفى بأن تضع الأمور عند هذا الحد .. عليها أن تنساه .. ولابد لها أن تجاهد فى سبيل ذلك .

وفى اليوم التالى استيقظت من النوم فى ساعة متأخرة .

لم تكن قد نامت جيدًا ليلة أمس .. وأحست بخمول شديد فى جسدها .. وبأنها لا ترغب فى مفارقة الفراش .

بينما كانت تتثاءب تناهى إلى سمعها صوت رنين الهاتف فى الردهة .

كانت تعرف أن عمتها تستيقظ دائمًا فى ساعة مبكرة .. وأنها لابد ستلتقط سماعة التليفون وتجيب المتحدث .

لكن توالى رنين التليفون جعلها تتساءل عما إذا كان يتعين عليها أن تغادر فراشها لترد على المتحدث ....

فبينما كانت تستعد لمغادرة الفراش توقف الرنين .. وأدركت أن عمتها قد تولت الرد على المتحدث بنفسها .. فعادت لتتدثر بالغطاء مرة أخرى .

لكن ما لبثت أن دخلت عليها عمتها الحجرة قائلة :

- (منى) .. مكالمة لك .

قالت (منى) باستغراب :

- لى أنا ؟.. ممن ؟

ابتسمت عمتها قائلة :

- من الرجل الذى كنت تريدين أن تريه وأن يراك !

هتفت (منى) وهى لا تصدق قائلة :

- (مدحت) ؟!

واتسعت ابتسامة عمتها قائلة :

- إنه يريد أن يتحدث إليك :.

ووجدت (منى) نفسها تقفز من الفراش ، لتثب إلى الأرض فى حركة تدل على لهفة وفرحة .

وما إن وقفت على قدميها ، حتى أحست بأنها تصرفت أمام عمتها بطريقة كشفت بوضوح حقيقة مشاعرها .. فأحست بالخجل من نفسها .. وحاولت أن تسير بخطى متمهلة وهى تتجه إلى الردهة .

وتناولت سماعة الهاتف وهى مرتبكة ، وقد أخذت تزدرد لعابها قبل أن تقول بصوت خافت :

- آلـو .

وسمعت صوته المألوف يقول :

- صباح الخير يا (منى) .

وجاهدت لكى تخفى فرحتها بسماع صوتـه قبل أن تقول :

- صباح الخير يا (مدحت) .. كيف عرفت رقم التليفون هنا ؟

أجابها قائلًا :

- ليس هذا هو المهم .. هل يمكننى أن أراك ؟

وصمتت برهة قبل أن تقول :

- متى ؟

ـ الآن .. لو أمكن .
وأرادت أن تقول له .. إنه لا يمكنها أن تراه الآن .. يجب أن تدعه يرجوها قليلًا قبل أن تخبره بأنها تستطيع أن تقابله مساء .. وألا تبدى أى تصرف ينم عن لهفتها وشوقها للقائه .. ولكنها وجدت نفسها تقول له :
ـ حاضر .. يمكننى أن ألقاك بعد ساعة من الآن .
ـ سأكون فى انتظارك فى المكان الذى اعتدنا أن نتقابل فيه على الشاطئ .. وأسرعت بالاستحمام وارتداء ثيابها فى عجلة وقد تلاشت كل المحاذير التى وضعتها لنفسها من قبل .
كانت سعادتها بأنها ستلقاه، وبأنه لم يهجرها تمامًا أقوى من أية محاذير أو قرارات اتخذت لنفسها بالأمس .
وبرغم أنها كانت تركض وهى فى طريقها إليه .. إلا أنها تعمدت أن تتمهل فى خطواتها عندما اقتربت من الشاطئ .. حيث وجدته واقفًا فى انتظارها .
كان يبدو قلقًا وغاضبًا وهو يروح ويغدو فوق رمال الشاطئ .
وعندما رآها .. تقدم نحوها دون أن يختفى ذلك العبوس من وجهه ..
سألته قائلة :

ـ ما الذى حدث يا (مدحت) ؟
قال لها وهو يحاول أن يتحكم فى انفعالاته :
ـ هل ستغادرين الإسكندرية غدًا ؟
ـ نعم .
ـ وكنت ستغادرينها دون أن تسمحى لى بأن أراك ؟
صمتت برهة قبل أن تقول :
ـ أعتقد أن هذا كان سيكون أفضل لكلينا .
ـ (منى) .. إننى لا أستطيع أن أفهمك .. لقد ظننت أنه خلال تلك الأيام التى قضيناها معًا حدث شىء ما بيننا .
حقًا .. إننا تصرفنا كصديقين .. ولكن كانت تبدو منك أحيانًا بعض التصرفات، التى تدل على أنك تحملين لى ما هو أكثر من الصداقة ..
وخفضت رأسها حتى لا تلتقى عيناها بعينيه قبل أن تقول :
ـ ليس خطئى أنك قد فسرت تصرفاتى تفسيرًا خاطئًا .
قال لها بصوت غاضب :
ـ أما زلت تصرين على ذلك العناد ؟
ـ أى عناد ؟ إنك لا تستطيع أن تتقبل فكرة أن فتاة قد تعرفتها ولم تقع فى هواك ..
هل صور لك غرورك أن كل فتاة تلتقى بها وتصادقها لبضعة أيام لابد وأن تحبك ؟

وما إن انتهت من جملتها ، حتى أحست بالاستياء من نفسها .. ها هى ذى تجد نفسها وقد تحدثت إليه بهذه اللهجة الحادة مثلما يحدث فى كل مرة .

ربما لأنه استفزها بحديثه عن عنادها .. وربما لأنها كانت تحتمى بحدتها من ضعفها إزاءه ..

قال (مدحت) :

- ربما كنت محقة فيما تقولينه .. وأننى بالفعل تصورت أنه يمكننى التأثير على أية فتاة أتعرفها ، وأستطيع أن أجعلها تهوانى .. فقد حدث هذا بالنسبة لى كثيرًا من قبل .

لكنك أول فتاة تجبرنى على أن أقع فى هواها .. وأجد نفسى أفتقدها بهذا الشكل ؛ لأننى لم أرها يومًا واحدًا .

وصمت برهة قبل أن يقول :

- (منى) .. لِمَ تصرفت معى على هذا النحو ؟ لماذا هربت منى أول أمس بعد أن تصورت أننا نستطيع أن نحقق مزيدًا من التقارب بيننا ؟

تطلعت إليه قائلة :

- (مدحت) .. ماذا تريد منى ؟

- هل أنا بحاجة إلى الإيضاح أكثر من ذلك ؟

- هل تريد أن تقول إنك تحبنى ؟

- هذه هى الحقيقة التى لم يعد بإمكانى أن أنكرها .

- ولكنك لم تعرفنى إلا منذ أيام قليلة فقط .

- ومع ذلك .. فقد أحببتك خلال هذه الأيام القليلة .

- وتريد منى أن أصدقك ؟

- اسألى قلبك ..

- إننى غالبًا لا ألجأ إلى الاستعانة بقلبى عند تحديد مواقفى من الآخرين .

- لأنك اعتدت أن تستعينى دائمًا بعقلك .. وحسابات العقل ليست كافية فى الحكم على مشاعر الآخرين ..

هناك أشياء تستشفها قلوبنا وتحسها مشاعرنا قبل أن يدركها العقل .

- إن عقلى لم يخذلنى قط ..

- وعقلك يرفض أن يصدقنى .. أليس كذلك ؟

وأمسك بساعديها وهو يردف قائلًا :

- ولكنى أعرف أنك تكذبين ....

وأحست برجفة لدى ملامسة أصابعه لساعديها .. وبأنها لم تعد تقوى على مواجهة نظراته التى تحاصرها .

قال لها وهو يدفعها لأن تنظر إليه :

- إننى أعرف أنك تحبيننى كما أحبك .. تحبيننى بكل جوارحك .. وأرى ذلك واضحًا فى عينيك .

قالت له وهى تتملص من يديه :

- إنك واهم فى تصورك هذا .

عاد ليقول لها بحدة :

- إننى أعرف جيدًا أننى لست واهمًا .. وأنك لا تقولين الحقيقة .

- إن غرورك هو الذى يصور لك ذلك .. فلم أكن أحتاج إلا لرفيق يطلعنى على بعض معالم الإسكندرية التى لم أرها من قبل .. ولم أعتقد أن الأمور ستتطور من جانبك لتصل إلى هذا الحد .

- أنا أيضًا وجدت فيك رفيقة مثالية ، يمكنها أن تكسر حدة الملل الذى كنت قد بدأت أعانيه خلال الأيام التى سبقت رؤيتى لك .. ولم أكن أريد للأمور أن تتطور إلى هذا الحد .

ولكن هذا ما حدث ؟ لم أكن أريده ولكنه حدث .. ووجدت نفسى وقد أحببتك .

- هذه مشكلتك ....

- ومشكلتك أنت أيضًا .. لأنك تشاركيننى هذا الحب .

- لقد قلت لك إن غرورك هو الذى جعلك تتصور ذلك .

- بل إننى واثق من ذلك .

- ومن أين أتتك هذه الثقة ؟

- إننى على العكس منك .. ألجأ إلى قلبى إذا ما تعرض الأمر إلى المشاعر .. وقد أخبرنى قلبى بأنك تحبيننى كما أحبك .

- وإذا كنت أحبك .. فما الذى يجعلنى أخشى التصريح بهذا الحب ؟

- الحماقة .. والغرور الأنثوى .. وشخصيتك التى لم تعتد أن تجرب مشاعر الحب من قبل .. وتخشاه وتظنه ضعفًا يتعين عليها ألا تستسلم له .. وربما لأنك تشكين فى صدق إخلاصى نحوك .

وتلفتت حولها قائلة :

- (مدحت) .. لقد بدأ الناس ينظرون إلينا .. ألا يمكنك أن تخفض صوتك ، وتتوقف عن متابعة هذا المشهد التمثيلى ؟

قال لها دون أن يخفض صوته :

- أنا لا يهمنى الناس .. ولا أؤدى مشهدًا تمثيليًا .

وبرغم سعادتها بعاطفته المتقدة هذه ، والتى تبدو صادقة وواضحة فى تعبيرات وجهه ومعالم صوته .. إلا أنها قالت له بجفاء :

- حسن .. وماذا بعد ؟

- اعترفى بأنك تحبيننى كما أحبك .

- أيرضيك أن أقول لك هذا .

ـ بل يرضينى أن تعبرى عما فى قلبك .. أن تقولى الكلمة التى تخفينها والتى أتمنى سماعها منك .

ـ وإذا لم أرحك وأقولها .

ـ سأصرخ أنا لك بها .. وأجعل كل رواد الشاطئ يسمعوننى وأنا أقولها لك .

ضحكت قائلة :

ـ لقد كنت أظنك أعقل من ذلك .. لم أتصورك قط بمثل هذا الجنون .

ابتسم قائلًا :

ـ الحمد لله .. لقد جعلتك تضحكين .

ـ ولكنك لن تحصل منى على أكثر من ذلك .

ـ إننى شخص لحوح .

وعادت لتضحك مرة ثانية قائلة :

ـ هذا واضح .

وأمسك بيدها قائلًا ومعالم الجدية واضحة على وجهه :

ـ (منى) .. هذه المرة أرجو أن تأخذى كلامى بطريقة جدية .. إننى أحبك بالفعل .. وأشعر بأنك تبادلينني بعضًا من هذا الحب .

وصمتت (منى) دون أن تجيبه بشىء .. كانت الطريقة التى يحادثها بها أقوى من مقاومتها هذه المرة .. ومن قدرتها على أن تحادثه بجفاء ، أو تحول الأمر مرة أخرى إلى مزحة أو دعابة ..

كانت تتمنى بالفعل لو عبرت له عن حقيقة مشاعرها فى هذه اللحظة ، وأنها بالفعل تبادله حبه لها .....

واستطرد (مدحت) قائلًا :

ـ أنا أعرف أنك ربما مازلت غير واثقة بى .. وأنك تتشككين فيما أقوله .. ولكننى سأثبت لك صدق مشاعرى بطريقة عملية وحاسمة .

(منى) .. هل تتزوجيننى ؟!..

* * *



٨ ـ فتـاة أحـلامى ..

نظرت إليه واجمة .. وهى لا تصدق ما سمعته منه .

كان أول ما اعتراها حينما تخلصت من وقع المفاجأة .. هو الإحساس بفرحة طاغية تملكتها .

فها هو ذا يثبت لها مدى صدقه وحبه لها بعرضه الزواج منها .. شعور قوى بالسعادة تملكها جاهدت لكى تخفيه .

وكادت أن تصرخ معلنة موافقتها الكاملة .. وبأنها ما كانت تتمنى أكثر من ذلك .. وأنه الرجل الوحيد الذى أحبته بصدق ، وتمنت أن تكون زوجته ، لكن إحساس الفرحة سرعان ما تلاشى تدريجيًا ليحل محله إحساس بالحيرة أعقبه إحساس آخر بالحزن والأسى .

فهى لا تستطيع أن تتزوجه .

لقد نسيت فى غمرة سعادتها وفرحتها بعرضه الزواج منها ، أنها مخطوبة لآخر ، وأن ارتباطها بـ (حسين) يضع على عاتقها التزامًا أقوى من أى مشاعر أخرى يمكن أن تسلم لها نفسها ..

ان زواجها من (مدحت) مستحيل ما دامت مخطوبة لـ (حسين) .

إن (حسين) أيضًا يحبها .. وربما أكثر مما يحبها (مدحت) .. وهى تعلم ذلك جيدًا وخبرته يوم أن عرض (حسين) حياته للخطر ؛ لينقذها من ذلك الحريق الذى اشتعل فجأة فى معمل الكيمياء الذى كانت تعمل فيه بمفردها .

وخاطر (حسين) بحياته لينقذها من النيران المشتعلة .. إنها لا تستطيع أن تنسى له ذلك أبدًا .

إن (حسين) من نوع مختلف عن (مدحت) .. فهو شاب رصين .. هادئ الطباع .. وخجول بعض الشىء .. يهتم بعمله ويخلص له إخلاصًا شديدًا ، وإن بدا أقل طموحًا منها .. وقد بذل جهدًا كبيرًا ليعبر لها عن إعجابه بها ورغبته فى الارتباط بها .. ولكنها اعتذرت له عن عدم قبول ذلك العرض .

لكن عندما وجدته وقد خاطر بحياته لإنقاذها من الموت ، كاشفًا عن تضحية مثالية ، قدرت له هذا الموقف النبيل وأخبرته أنها موافقة على الزواج منه .

وقد حاولت إقناع نفسها بسلامة قرارها هذا من الناحية الموضوعية أيضًا .. وليس باعتباره التزامًا فقط .. أو ردًا للجميل .

فبحكم طبيعة عمل (حسين) فإنه يقدر تمامًا طبيعة عملها، بل ويمنحها التشجيع والتأييد الذى تحتاج إليه .. فضلًا عن شخصيته الجادة التى تلائمها، وتتفق كثيرًا مع شخصيتها .. والأهم من ذلك أنه يحبها حبًا كبيرًا .. وإن كانت تفتقد تلك المشاعر القوية التى يكنها لها .. والتى أعلنت عن نفسها بكل صدق ووضوح حينما التقت بـ (مدحت) .

إنها سعيدة لأنها وجدت الرجل الذى تحبه ويحبها .. وسعادتها لا توصف لأنه يريد أن يتزوجها .. ولكنها لا تستطيع أن توافق على هذا الزواج .

فارتباطها بـ (حسين) أقوى .. وواجبها يحتم عليها أن ترتبط به هو .. برغم أنها حاولت أن تعبر عن رفضها لهذا الارتباط، ورغبتها فى التحرر منه بنزعها لخاتم الخطبة .. كلما أتاحت لها الظروف ذلك .. وهو إحساس نفسى لم تكن تملك إزاءه مقاومة .

وأحست فى هذه اللحظة بخطئها فى نزع خاتم الخطبة من إصبعها .. وبتماديها فى هذا الخطأ عندما أعلنت لـ (مدحت) أنها غير مرتبطة .

فما الذى تستطيع أن تقوله له الآن ؟ وبماذا ترد عليه وقد أعلن لها عن صدق نواياه وحبه الحقيقى لها ؟

هل تخبره بأنها خدعته منذ البداية، وأنها مخطوبة لغيره ؟ وما الذى يمكن أن يظنه فيها لو أخبرته بذلك ؟

قد تتبدل نظرته تمامًا نحوها لو علم بذلك .. لابد أنه سيعتقد أنها ليست سوى فتاة مستهترة، وأنها تظاهرت بأنها غير مرتبطة ؛ لكى تمنح لنفسها فرصة للهو والعبث بعيدًا عن خطيبها .. وأنها كانت تمثل عليه منذ البداية دور الفتاة البريئة الجادة .. لقضاء بضعة أيام فى صحبته .. واضطرت فى النهاية لأن تعترف بالحقيقة عندما بدأت الأمور تأخذ شكلًا جديًا بعرضه الزواج منها .

مهما حاولت أن تشرح فلن يستطيع أن يفهم أو يقدر .. وستنتهى الأمور بينهما نهاية سيئة .

ليتها لم تنزع خاتم الخطبة من يدها .. ليتها اعترفت له بحقيقة ارتباطها منذ البداية .. بل ليتها لم تقابله .. أو تلتقى به مجددًا .

ولكن أكانت تحرم نفسها من سعادة اعترافه بحبه المخلص والصادق لها على هذا النحو ؟

وما جدوى ذلك الآن .. إنها تفضل أن يحدث أى شىء عن أن يظن بها الظنون السيئة .

ومرت لحظات طويلة من الصمت، كان يرقبها خلالها .. وأقلقه حالة الشرود التى بدت عليها .. وامتناعها عن إجابته على طلبه .

فسألها قائلًا :
- (منى) .. لماذا أنت صامتة ؟
تطلعت إليه قائلة بلهجة جادة هذه المرة :
- لا أدرى ماذا أقول لك ؟
- قولى إنك موافقة .
وعادت (منى) إلى الصمت والتفكير ، فعاد ليسألها قائلًا :
- هل كان إحساسى خاطئًا حقًا ؟ ألا تحبيننى ؟
وتهربت (منى) من إجابته عن سؤاله قائلة :
- لقد فاجأتنى ..
- لقد عبرت لك عن صدق إخلاصى وحبى .. (منى) إننى لم أنم الليلة الماضية ، فقد فكرت طويلًا فى الأمر .. إنك الفتاة الوحيدة التى أحببتها وأردتها زوجة لى .
ولولا أننى أحسست بأنك تبادليننى مشاعرى ، لما تقدمت إليك بطلبى هذا .. وتأكدى إن لم تكونى موافقة .. فلن أعترض طريقك بعد اليوم .
- حسن .. أنت فكرت طويلًا واتخذت قرارًا ، أما أنا فقد بوغتُ بطلبك هذا ولم أتوقعه .. وأعتقد أن من حقى أنا أيضًا أن آخذ وقتًا للتفكير .
- إذا كنت تحبيننى كما أحبك فلن تحتاجى وقتًا للتفكير .. وعلى كل حال فأنا أتكلم عما إذا كنت موافقة على الزواج منى

من حيث المبدأ أم لا .. أما بقية التفصيلات المتعلقة بعملى وظروفى .. إلى آخر تلك الأمور ، فمن حقك أن تطلعى عليها أنت وأسرتك قبل أن تقررى موافقتك النهائية .
- (مدحت) .. أنا لا أتحدث عن هذا .. إذا أردت أن تحصل على اعتراف صريح منى .. فأنا أعترف بأننى أميل إليك .
- هذه الكلمة ليست كافية .. وأفضل أن أسمع أنك قد أحببتنى كما أحببتك ، لو كان هذا هو شعورك نحوى بالفعل .
وصمتت (منى) مرة أخرى وهى لا تدرى ماذا تقول .
- هأنتذى تعودين إلى الصمت مرة أخرى .. ولا أدرى ما إذا كان هذا الصمت هو دليل الموافقة على ما قلته ، أم أنه تهرب من الإجابة .
لقد خيل لى عندما طلبت منك أن تتزوجينى أننى قد رأيت ملامح فرحة كبيرة على وجهك .. ويبدو أنك لم تستطيعى التهرب من هذا التعبير .. ثم ما لبثت أن تلاشت هذه الفرحة ليحل محلها تعبير ينم عن الحيرة والقلق .. وأصارحك بأننى لم أستطع تفسير هذا .
بل إننى أصبحت متشككًا فيما ظننته من أنك تحملين لى عاطفة قوية .

قالت (منى) بعصبية :

- (مدحت) .. إننى منذ أن عرفتك وأنت تحاصرنى بمشاعر متلاحقة وسريعة، وهذه المشاعر تربكنى .. ولا تتيح لى ما أحتاج إليه من التفكير الهادئ المتأنى الذى أحتاج إليه لتحديد موقفى منك .

- حسن .. سأمنحك يومين لكى تفكرى فى الأمر .

- يومان .. وقت غير كاف !

- يومين يا (منى) لا أكثر .. بعدها سأعرف بأن طلبى قد رفض، ولن أحاول أن أفرض نفسى عليك بعد ذلك .

وصمتت (منى) دون أن ترد عليه .. فعاد ليقول لها :

- هل أستطيع أن أطلب منك طلبًا آخر ؟

نظرت إليه قائلة :

- ما هو ؟

- ألا يمكنك أن تمدى إجازتك لبضعة أيام أخرى ؟ أعتقد أننا بحاجة لبعض الوقت، لكى نتعارف أكثر قبل أن تتخذى قرارك .

ابتسمت فى مرارة قائلة :

- ربما لو تعارفنا أكثر لغيرت أنت رأيك .

- لا شئ يمكن أن يجعلنى أبدل رأيى .. وبالنسبة لى فلست بحاجة لكى أعرفك أكثر من ذلك .. لقد وجدت فيك فتاة أحلامى .

ولا أخفى عليك أننى أتحايل على الأمر لكى أبقيك معى هنا لبعضة أيام أخرى .. وإلا اضطررت أنا لقطع إجازتى والعودة معك إلى القاهرة ..

وضحكت برغمها قائلة :

- يا لك من مندفع ومتهور !

قال لها بصوت هادئ وحنون :

- (منى) إننى أحبك ... أحبك على نحو ملك علىّ إحساسى وجوارحى .. وأشعر بأننى أفتقد طعم السعادة وأنت بعيدة عنى .

هذا هو ما أحدثته فىّ خلال أيام قليلة، فلماذا تستكثرين علىّ أن أكون مندفعًا ومتهورًا فى حبك على هذا النحو ؟



٩ ـ قسوة الاختيار ..

عادت (منى) إلى منزل عمتها وهى فى حيرة من أمرها .. لا تدرى كيف تعبر عما يعتريها من مشاعر متناقضة .

إنها مزيج من السعادة والخوف .. الرغبة فى الانطلاق وتحطيم كل القيود التى تكبل حبها وعواطفها .. وذلك الالتزام الذى تحمله فوق عاتقها تجاه (حسين) .. اندفاعها نحو (مدحت) بكل جوارحها .. وتلك الأجراس التى تحذرها من مغبة هذا الاندفاع ، وما يمكن أن يحمله لها من متاعب فى المستقبل .

وحاولت أن تنفض كل هذه المشاعر المتناقضة عن نفسها .. إن كل ما يعنيها الآن هو رغبتها فى أن تكون معه خلال الأيام القادمة ، وأن تنعم ببعض السعادة فى صحبته وليكن بعد ذلك ما يكون ..

عليها ألا تفكر طويلًا فى المستقبل ، وما يمكن أن يحمله لها ، وأن تتخلى عن طبيعتها الحذرة .. وأن تطلق العنان لأحاسيسها كى تعيش كل سعادة الحاضر .

إنها تعرف أنها تتصرف بذلك كفتاة مراهقة طائشة وتبتعد كثيرًا عن كونها فتاة ناضجة ذات عقلية عملية وتفكير علمى .

ولكن فليذهب كل شىء إلى الجحيم .. إن ما تدركه فى هذه اللحظة أكثر من أى شىء آخر ، هو أنها فتاة تتذوق الحب لأول مرة فى حياتها .

وقد حمل لها هذا الحب مشاعر وأحاسيس لم تجربها من قبل .. ولم تتخيل أنها يمكن أن تحب شخصًا ما .. وتشتاق إليه .. وتشعر بافتقاده كلما ابتعد عنها ولو لساعات قليلة مثلما تعيش الآن حبها مع (مدحت) .

وكان أول ما فعلته بعد أن انتهت من هذا التفكير هو أنها تناولت سماعة الهاتف واتصلت بإحدى زميلاتها فى معمل البحوث الكيميائية .

وتحدثت (منى) فى التليفون قائلة :

ـ أنا (منى) .. يا (هدى) .. إننى أحدثك من الإسكندرية .

ـ (منى) .. كيف حالك ؟ ما أخبار الإجازة معك ؟

ـ إننى بخير .. اسمعى يا (هدى) .. إننى أريد أن أمدّ الإجازة أسبوعًا آخر .. لقد طرأ طارئ سيضطرنى إلى البقاء فى الإسكندرية لمدة أسبوع آخر .. فهل يمكنك أن تقدمى الإجازة نيابة عنى ؟

قالت لها صديقتها وهى مندهشة :

- إننى أتعجب .. فهذه هى المرة الأولى التى تأخذين فيها إجازة طويلة هكذا ..

- لقد قلت لك إنه قد جد طارئ سيضطرنى إلى البقاء فى الإسكندرية .

- ألم تخبرى (حسين) بذلك ؟

- نعم .. يمكنك أن تبلغيه نيابة عنى .

- لابد أنه سينزعج لذلك .. فقد كان فى انتظارك لدى عودتك غدًا ، وكان يستعد لاستقبالك على المحطة .

- من فضلك قولى له ألا ينزعج .. كل ما هنالك أننى أرغب في قضاء وقت أطول فى الإسكندرية .. هذا هو كل ما فى الأمر ..

- ولكنك قلت إن هناك طارئا قد حدث .

تضايقت (منى) من تلك الاستفسارات الكثيرة التى تلقيها صديقتها .. فقالت لها :

- فليكن هذا بينى وبينك .. ولكن لاداعى لإزعاج (حسين) .. إنه أمر بسيط وسوف أعود إلى القاهرة فى نهاية الأسبوع القادم ..

ووضعت سماعة الهاتف ، وهى تطلق زفرة قصيرة .. قائلة لنفسها :

نعم .. إنها المرة الأولى التى أغيب فيها عن عملى كل هذه المدة .. وكل ذلك لأكون بجوار رجل أعرف أن مصيرى معه مجهول ..

ترى ماذا ألم بى ؟ وإلى أين تقودنى قدماى ؟

وأخبرت (منى) عمتها بما حدث ، وبالعرض الذى قدمه لها (مدحت) .. وبالمشكلة التى وضعت نفسها فيها عندما أخفت عنه حقيقة خطبتها لـ (حسين) .

قالت لها عمتها مؤنبة :

- أنت التى وضعت نفسك فى هذا المأزق .. كان يتعين عليك أن تخبريه بالحقيقة منذ البداية .. كما كان يتعين عليك ألا تنزعى الخاتم من أصبعك ، ما دمت لم تحسمى الموقف مع خطيبك .

- إننى أعترف بخطئى .. ولكن ماذا أفعل الآن ؟

- أعتقد أنك قد حددت اختيارك .. وقد قررت أن تجعلى واجبك نحو (حسين) والتزامك بخطبتك له فوق مشاعرك وحبك لـ (مدحت) .

- ليست هذه هى مشكلتى الآن .. المشكلة هى أننى لا أعرف كيف أصارح (مدحت) بالحقيقة .

- إنك تخشين أن تهتز صورتك أمامه لو علم بالحقيقة ، أليس كذلك ؟

ـ بلى .. إننى لا أستطيع أن أتحمل مجرد نظرة فى عينيه تنم عن عدم احترامه لى .. ولا شك أننى سأرى هذه النظرة لو أخبرته بالحقيقة ، حتى لو لم يقل كلمة واحدة ..

ـ أعتقد أنه سيقدر دوافعك .

ـ أية دوافع تلك التى تجعل فتاة محترمة تنزع خاتم خطبتها .. لتخفى الأمر عن الشاب الذى رافقته خلال عدة أيام، تحول خلالها لقاؤهما إلى عاطفة أقوى من مجرد الصداقة ؟.. بأى منطق سيتقبل ذلك ؟

ـ إنك لم تنزعى خاتم الخطبة من إصبعك لتخفى عليه الأمر .. بل فعلت ذلك من قبل أن تريه .. ولم يكن الأمر سوى مجرد تعبير نفسى عن خطبة لا تريدينها ..

ثم إنك لم ترتكبى أى خطأ خلال لقائك به ، ولم تدفعيه لحبك .

ولو كان يحبك حقًا .. فإنه سيغفر ويقدر .. وإن كان هناك من يتعين عليه ألا يغفر أو يقدر لك تصرفك هذا ، فهو خطيبك (حسين) .

هو الأولى الآن بأن تخشيه .. وتعملى له حسابًا .. ما دام اختيارك قد استقر عليه .. وليس على (مدحت) .

فماذا سيفعل ذلك المسكين لو عرف أنك قد تخليت عن خاتم خطبته ، وانطلقت وراء مشاعرك تجاه إنسان آخر ؟

وصمتت (منى) وقد أحست بالخجل دون أن تدرى ماذا تقول لعمتها .

بينما استطردت عمتها قائلة وهى تنظر إليها :

ـ نعم .. (حسين) هو الذى يتعين عليك أن تخجلى منه وليس (مدحت) .

قالت (منى) بصوت خافت :

ـ أعتقد أننى خجلة من نفسى .

وحاولت عمتها أن تهون عليها الموقف فجلست إلى جوارها وهى تربت على كتفها .. قائلة :

ـ هونى عليك يا بنيتى .. فأنا أعرف حقيقة الصراع الذى تعيشينه .. فأحيانًا تكون مشاعرنا أقوى منا .. وكما أرى فإنك تجعلين واجبك تجاه (حسين) فى المرتبة الأولى وتضحين بعاطفتك من أجل التزامك نحوه .. وهذا فى حد ذاته دليل على مدى نقائك وأصالة معدنك .. ويستحق أن يكون موضع فخرك لا خجلك .

ـ ولكن هأنذا قد تقدمت بإجازة من أجل البقاء بجوار (مدحت) .. وهذا يعنى أن التزامى تجاه (حسين) ليس قويًا .

سألتها عمتها :

ـ هل ستلتقين به مرة أخرى ؟

قالت (منى) باستكانة لم تعرفها فى نفسها من قبل :
- نعم .. لقد طلب منى ذلك ولم أقو على رفضه .
- وماذا بعد يا (منى) ؟
- ماذا تعنين يا عمتى ؟
- أنت تعرفين ما أقصد جيدًا .. وماذا بعد المزيد من اللقاءات ؟ والمزيد من التورط فى عاطفة لا جدوى منها ؟
قالت (منى) بحيرة :
- لا أعرف .
نظرت إليها عمتها بدهشة قائلة :
- إننى لا أصدق عينىّ وأذنىّ .. (منى) الفتاة الذكية ذات التفكير الناضج والعقل الذى يحسدها عليه الآخرون تترك نفسها هائمة هكذا .. ولا تعرف ماذا تفعل فى أمر يتعلق بحياتها الشخصية ؟
- حقيقة .. لا أعرف .. إن (منى) الرومانسية التى بداخلى والتى حدثتنى عنها هى التى تحركنى الآن يا عمتى .. وليست الفتاة الذكية ذات التفكير الناضج والعملى ..
تنهدت عمتها قائلة :
- أنا أيضًا لا أعرف ماذا أقول لك ؟ ولكن عليك أن تحسمى الأمر بدلًا من أن تعقديه .

- تنهدت (منى) بدورها قائلة :
- إن الأمر سيحسم من نفسه .. فبعد يومين سيتعين علىّ أن أعطيه ردًا على طلبه بأن يتزوجنى .. وستنهى إجابتى الموقف بيننا .
نظرت إليها عمتها بإشفاق قائلة :
- سيكون الأمر قاسيًا عليك يا بنيتى .
وانحدرت عبرة على وجنة (منى) وهى تقول :
- قاسيًا للغاية يا عمتى .. فأسعد لحظة يمكن أن تعيشها إنسانة تحب ، هى اللحظة التى يطلب فيها منها من يحبها أن تتزوجه .. أما أنا فيتعين علىّ أن أرفض هذا الطلب على الرغم منى .
احتضنتها عمتها قائلة :
- أعانك الله يا بنيتى .
وبكت (منى) بحرارة على كتف عمتها قائلة :
- إننى أحب (مدحت) حبًا كبيرًا يا عمتى .. وأتمنى بالفعل لو أصبح زوجته .
سألتها عمتها قائلة وهى تمسح عبراتها :
- ولكن لماذا طلبت إجازة لمدة أسبوع آخر كما طلب منك ؟

- إننى بحاجة لبعض الوقت لكى أستعيد توازنى قبل أن أعود إلى القاهرة ، وأهيئ نفسى من جديد ، لممارسة عملى ومواصلة دراستى .. وسوف أعمل على استعادة هذا التوازن بعد انتهاء الأمر بينى وبين (مدحت) .

* * *

استقبلها (مدحت) بترحاب فى اليوم التالى قائلًا :

- أشكرك من كل قلبى .

سألته قائلة :

- تشكرنى على ماذا ؟

- على أنك قد استجبت لى .. ووافقت على أن تمدى إجازتك أسبوعًا آخر .

قالت (منى) بنبرة حزينة :

- إنك لم تدع لى فرصة للرفض .

نظر إليها قائلًا :

- ماذا بك يا (منى) ؟

واصطنعت ابتسامة وهى تنظر إليه قائلة :

- لا .. لا شئ ..

- أين تريدين أن نذهب اليوم ؟

- هل نسيت أنك مرشدى ؟

- ما رأيك لو ذهبنا إلى (العجمى) ؟

- كما تشاء .

وهناك حاولت (منى) أن تنسى خوفها من المستقبل ، وأن تشاركه المرح ، أرادت أن تهـرب من المـاضى والمستقبل ، وتعيش اللحظة الحاضرة .

وجلس (مدحت) متكئًا على ركبته فوق الرمال أمامها وهو يتأملها قائلًا :

- هل تقضين وقتك حقًّا بين تلك الأنابيب الزجاجية ، والمجاهر والقوارير فى معامل الكيمياء ؟

- نعم .. هل يبدو ذلك غريبًا بالنسبة لك ؟

- أعتقد أن هناك تناقضًا كبيرًا بين شخصيتك وبين طبيعة عملك .. أم أنك من النوع الذى يستطيع أن يفرق بين اللهو والعمل ؟

- إن عملى هو كل حياتى .

ابتسم (مدحت) قائلًا :

- ألا تحتفظين لى بجزء منها ؟

وتمنت لو قالت له إنه قد أصبح هو كل حياتها الآن .. وإنها لم تعد ترى جدوى ولا قيمة لعملها وطموحها العلمى بدونه .. ولكن لم تكن لتستطيع أن تقول له ذلك .. بل اضطرت لأن تقول له بجفاء :

- إن عملى يأتى دائمًا فى المقدمة .

وتغاضى (مدحت) عن إجابتها الجافة قائلًا :

- سأتغاضى عن ذلك فى الوقت الحالى .. أما فى المستقبل ..

قاطعته قائلة :

- دعنا لا نتحدث عن المستقبل الآن .. فالمهلة التى منحتها لى لم تنته بعد .

- إننى لم أقصد بهذه المهلة إنذارًا أو تهديدًا .. بل أن أمنحك الوقت الكافى للتفكير .

وأحست (منى) بأنها لم تعد تقوى على تأجيل الأمر أكثر من ذلك .. لقد كانت تظن أنها تستطيع أن تمنح نفسها وقتًا للاستمتاع بحياتها بجواره خلال هذين اليومين ، قبل أن ينتهى الأمر تمامًا .. ولكنها لم تعد تشعر بأى بسعادة .. وهى تعرف أنها ستحرم منه عاجلًا أو آجلًا .. إن الانتظار فى حد ذاته يؤرقها ويعذبها .

قالت له وهى تجاهد لكى تبدو أمامه هادئة ومتحكمة فى مشاعرها :

- (مدحت) .. إننى لن أستطيع أن أتزوجك !

★ ★ ★

١٠ - زيارة مفاجئة ..

وصمت (مدحت) برهة وهو يحدق فى وجهها وكأنه لا يصدق ما سمعه ، بينما خفضت هى وجهها حتى تتجنب نظراته ..

وما لبث أن قال لها :

- لماذا يا (منى) ؟

هزت كتفيها قائلة :

- لأننى لا أستطيع أن أتزوجك .. هذا هو كل ما فى الأمر ببساطة .

وأمسك بكتفيها قائلًا :

- لا يمكن أن يكون الأمر بمثل هذه البساطة التى تتحدثين بها .

قالت (منى) وهى ما زالت تتجنب النظر إليه :

- أرجوك يا (مدحت) .. لا تجعل الأمر يبدو أكثر تعقيدًا .

- ما زال باستطاعتك أن تأخذى الوقت الكافى للتفكير .

- إن الوقت لن يبدل من الأمر شيئًا ، اليوم أو غدًا أو بعد غد .. إن هذا لن يبدل قرارى فى شىء .

قال لها (مدحت) وقد تقلصت ملامحه .. وبدا وكأنه يشعر بأسى شديد :

- ولكننى ظننت .. ظننت أنك تحبيننى .

- لقد قلت لك من قبل إنك تخيلت شيئًا غير حقيقى .

قال (مدحت) وعلى وجهه علامة استفهام كبيرة .. وكأنه ما زال لا يصدق :

- من المستحيل أن تخدعنى مشاعرى إلى هذا الحد .. قولى إنك تكذبين وأن هناك دوافع أخرى تدفعك لهذا القول .

- (مدحت) .. ألا نستطيع أن نكتفى بالصداقة ؟

ولكنه لم يجبها على سؤالها .. بل عاد ليقبض على ساعديها قائلًا :

- مازلت مصرًا على أن أعرف الحقيقة .. انظرى فى عينى وقولى إنك لا تحبيننى ، ارفعى وجهك فى وجهى وقولى ذلك .

وشدد من قبضته على ساعديها على نحو آلمها .. ولكن ألمها المعنوى كان أقوى من آلام ساعديها .. وقالت له وهى تنتحب :

- (مدحت) .. إنك تؤلمنى !

قال لها وقد بدت نبرة غاضبة فى صوته :

- انظرى لى يا (منى) وقولى إنك لا تحبيننى .

نظرت إليه قائلة :

- حتى لو كنت أحبك .. فهناك ما يمنعنى من الزواج منك .

- ما هو ؟

- عملى ودراستى .. معامل الأبحاث والدكتوراة .. إن حياتى مزدحمة ولا وقت فيها للارتباط بأى شخص .

- لست أول فتاة تعمل وتدرس وتتزوج .. الآف غيرك يفعلن ذلك .

- (مدحت) .. ألا تفهم ؟ إننى أحب عملى بشدة .. أحبه أكثر من أى شىء آخر إننى فتاة طموح جدًا .. وطموحى العلمى لا حدود له .. حتى إنه لا يسمح لى بالتفكير فى الحب والزواج .

- ولكنى أعدك بأننى لن أقف عقبة فى سبيل طموحك وعملك .

- هذا ما تقولونه فى البداية .. إن الرجل غالبًا ما ينقم على عمل زوجته لأنه يحرمه من أن تمنحه القدر الكافى من الاهتمام .. وعملى ليس عاديًا كما أن اهتمامى به أيضًا ليس عاديًا .. ولن يدع لى وقتًا لتوجيه أى اهتمام لك أو لحياة أسرية طبيعية .. وأعتقد أن فى هذا ظلمًا كبيرًا لا أرضاه لك ..

تأمّلها بعينين متفحصتين قائلًا :

ـ أعتقد أنك تكذبين يا (منى) .. ليس للأمر علاقة بعملك .. بل إنك تخفين علىّ شيئًا آخر .

ولكن أيًا كان ما تخفينه فإننى لم أعد أريد أن أعرفه .. إنك لا ترغبين فى الزواج منى، إذن فلا يهم السبب أيًا كان .

قالت له والألم يعتصرها :

ـ (مدحت) .. أرجوك لا تنقم علىّ .. فأنا بالفعل أحمل لك تقديرًا كبيرًا .

قال لها بلهجة ساخرة :

ـ أشكرك .

ومرت بينهما برهة من الصمت قطعها قائلًا :

ـ أعتقد أنه لم تعد هناك جدوى من بقائنا هنا .. ويتعين علينا أن ننصرف الآن .

مرت الأيام ثقيلة وبطيئة على (منى) بعد ذلك اليوم الذى افترقت فيه عن (مدحت) ، ولم يحاول أن يتصل بها أو يقابلها خلالها أو يبذل أى جهد لكى يراها بعد عودتهما من العجمى .

لقد قرر أن يسدل ستارًا كثيفًا على علاقتهما .

وبالرغم من أن (منى) أرادت أن تطيل من أمد إجازتها لكى تستعيد توازنها المفقود بعد ابتعاد (مدحت) عنها .. إلا أنها لم تحصل على هذا التوازن المنشود .

فهى تفتقده بشده .. وتشعر بحنين قوى للقائه .. وتتمنى لو منحها الفرصة لكى تراه مرة أخرى وأخيرة قبل أن تعود إلى القاهرة .

ولكن كان عليها أن تقنع نفسها بأن ما بينهما قد انتهى تمامًا .. وأنه من الأفضل لها وله ألا تراه مرة أخرى .. بل من الأفضل أن تحاول أن تنساه .

وبينما كانت سائرة فى طريق الكورنيش الذى جمع بينهما ذات يوم ، أخذت تسأل نفسها :

ـ هل يمكنها حقًا أن تنساه ؟ وهل سيساعدها الزمن على نسيانه ؟ وعندما عادت إلى شقة عمتها استقبلتها قائلة :

ـ (منى) .. لماذا تأخرت .. إن (حسين) فى انتظارك منذ ساعتين !

قالت لها (منى) باستغراب :

ـ (حسين) ؟!

ـ نعم .. لقد حضر إلى الإسكندرية هذا الصباح وجاء ليقابلك .

وهمت (منى) بأن تذهب إليه .. ولكن عمتها نبهتها إلى عدم وجود خاتم الخطبة فى أصبعها قائلة :

ـ هل ستقابلينه بدون خاتم الخطبة هكذا ؟

تنبهت (منى) إلى الخطأ الذى كادت أن ترتكبه .. فتناولت حقيبتها لتتناول منها خاتم الخطبة وتعيده إلى إصبعها .. ولكن قبل أن تفعل وجدت (حسين) وقد غادر قاعة الجلوس مقبلًا عليها وهو يقول :

ـ (منى) .. لقد أوحشتنى كثيرًا .

وأعادت (منى) خاتم الخطبة سريعًا إلى حقيبتها وقد أصابها الارتباك من جراء لقائه المفاجئ ..

نظر (حسين) إلى عمتها قائلًا :

ـ آسف .. إذا كنت لم أراع أصول اللياقة .. ولكن سماعى لصوت (منى) جعلنى أتصرف بتلقائية .

قالت له عمتها :

ـ لا عليك يا بنى .. المنزل منزلك .

وقالت له (منى) بهدوء وبرود :

ـ أهلًا بك يا (حسين) ؟ ما الذى جاء بك إلى الإسكندرية ؟

واصطحبته إلى قاعة الجلوس وهو يقول لها :

ـ كان لابد أن آتى .. لقد قلقت عليك .. فأنت لم تعتادى أن تأخذى إجازة طويلة هكذا .

ـ لقد اتصلت بـ (هدى) وأخبرتها .

ـ لقد اعتقدت أن (هدى) تخفى عنى أمرًا ما بشأن هذه الاجازة .. لكن الحمد لله لقد طمأنتنى عمتك عليك .. وعلى عدم حدوث أى مكروه .

واستدرك قائلًا :

ـ ولكن أين كنت ؟.. ولماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟

ـ لقد شعرت بالرغبة فى السير والترويح عن نفسى قليلًا .

ـ لقد أعددت لك المراجع المطلوبة بشأن رسالة الدكتوراة .. كما تم إعداد جدول جديد بشأن التجارب المعملية ، وسوف أنسق بينى وبينك فيما يتعلق بالبحث الخاص بمكافحة التلوث .. أعتقد أنه يمكننا أن نحقق فيه خطوات متقدمة .

وظل (حسين) يثرثر فى شئون العمل .. ويصف لـ (منى) ما تم إنجازه طوال فترة غيابها .. وبرغم أن (منى) كانت تستقبل مثل هذا الحديث باهتمام ومشاركة حقيقية فيما قبل ، إلا أنها أحست هذه المرة بالسأم .. بل وبالضيق من الاستمرار .. كان ذهنها منصرفًا إلى جهة أخرى .. وإحساسها بافتقاد (مدحت) طاغيًا على ما عداه .

وتنبهت فجأة على صوت (حسين) وهو يسألها قائلًا :

ـ (منى) لماذا تبدين شاردة هكذا ؟

- هه ؟.. ماذا تقول ؟

ونظر إلى يدها قائلًا :

- (منى) .. أين خاتم الخطبة ؟!!

ارتبكت (منى) وهى تتناول الخاتم من حقيبتها قائلة :

- لقد وضعته فى حقيبتى .

قال لها (حسين) وقد تبدلت ملامحه :

- وماذا يفعل فى حقيبتك ؟ المفروض أن يكون فى إصبعك لا فى حقيبتك .

وتلعثمت (منى) قائلة :

- لقد كان إصبعى متورمًا هذا الصباح .. مما اضطرنى إلى نزع الخاتم منه .. وكنت فى سبيلى إلى أن أعيده عندما ذهب هذا الورم .. ولكن يبدو أننى قد نسيت ذلك .

وأخذ ينظر إليها .. وقد بدا فى عينيه ما ينم عن عدم اقتناعه بقولها .

ولكنه تناول الخاتم منها ليعيده بنفسه إلى إصبعها قائلًا :

- فى المرة القادمة أرجو ألا تنسى .. إن خاتم الخطبة شىء مقدس ويتعين عليك أن تحافظى على وجوده فى إصبعك .

وحاولت (منى) أن تغطى على الموقف فسألته قائلة :

- ولكن هل حصلت على إجازة اليوم ؟

- فى الحقيقة لقد جئت فى عمل .. كان يتعين تقديم بعض الأبحاث الهامة إلى مركز بحوث البيئة فى الإسكندرية ، وأردت أن أتولى ذلك بنفسى حتى يمكننى الاطمئنان عليك ، وطلبت أن أتولى مهمة تسليم هذه الأبحاث .

- ومتى ستعود إلى القاهرة ؟

- سأغادر الإسكندرية فى الثامنة من صباح الغد .. هل ترغبين فى العودة معى ؟

- كلا .. سافر أنت وسوف ألحق بك بعد يومين .

- لم أكن أعرف أنك مغرمة بالإسكندرية إلى هذا الحد .. على كل حال كما تريدين ولكن سنتناول العشاء معًا اليوم .

ودخلت عمتها الحجرة فى هذه اللحظة وقالت له :

- سأعد لك عشاءً رائعًا اليوم .

ابتسم قائلًا :

- أشكرك يا عمتى .. ولكن لو تسمحين لى .. فإننى أريد أن أدعوكما إلى العشاء فى أحد المطاعم لنقضى معًا سهرة طيبة .

ابتسمت عمتها قائلة :

ـ كان بودى أن ألبى دعوتك .. ولكننى أنام فى ساعة مبكرة .. يمكنك أن تصحب (منى) إلى العشاء فى أحد المطاعم لو أردت .. فأنا أعرف أن هذا هو الهدف الحقيقى من الدعوة .

نظر إليها قائلًا :

ـ ما رأيك يا (منى) ؟

قالت له بلا مبالاة :

ـ كما تريد .

★ ★ ★



١١ ـ لقاء غير منتظر ..

حاولت (منى) أن تبدى بعض الاهتمام بخطيبها فى هذه الليلة .. ربما بدافع من الاحساس بالذنب لعلاقتها بـ (مدحت) طوال الفترة التى قضتها فى الإسكندرية .. وربما لأنها أحست بمدى تألمه لعدم وجود الخاتم فى إصبعها .

وربما لأنها أرادت أن تقنع نفسها بمميزات (حسين) ، وبأن عليها أن تقنع بنصيبها وأن تنسى تجربتها العاطفية القصيرة فى الإسكندرية .

فأخذت تسوى ربطة عنقه فى أثناء جلوسها إلى جواره فى ذلك المطعم المطل على الشاطئ .. وتسارع بإشعال سيجارته .. بتلك القداحة الموضوعة على المائدة ، حينما وجدته يضعها بين شفتيه .

ابتسم لها قائلًا :

ـ (منى) .. إنك تدلليننى كثيرًا هذه الليلة .

ابتسمت قائلة :

ـ أيبدو هذا غريبًا بالنسبة لك ؟

قال لها وهو يتناول قائمة الطعام :

ـ إلى حد ما .
ثم سألها قائلا :
ـ ماذا تأكلين ؟
وتذكرت (منى) وجبة السمك والجمبرى الشهية التى تناولتها فى (أبى قير) مع (مدحت) ، فوجدت نفسها تقول له وهى ساهمة :
ـ سمك وجمبرى .
قال لها (حسين) :
ـ وأنا أيضًا سآكل مثلك .
وطلب من النادل أن يحضر لهما طعامًا بحريًا من الأسماك والجمبرى .
كان المطعم المطل على البحر أنيقًا .. وبدت طريقة تقديم الطعام رائعة وتثير الشهية .
لكنها لم تستمتع بها كما استمتعت بتلك الوجبة التى تناولتها مع (مدحت) .. فى مطعم الريس (خليفة) .. البسيط المتواضع ..
وارتكزت بجبهتها على يدها وهى تحاول أن تتغلب على حنينها إليه .
ولاحظ (حسين) ذلك فسألها قائلا :
ـ (منى) .. ماذا بك ؟

قالت (منى) :
ـ لا شىء .. أعتقد أننى أشعر ببعض الإرهاق .
ـ هل تحبين أن ننصرف ؟
ـ كلا .. فقط سأذهب إلى الحمام .. أعتقد أن قليلًا من الماء البارد على وجهى سينعشنى .
ـ سآتى معك .
ـ لا داعى لذلك .. لن يستغرق الأمر بضع لحظات .
وغادرت (منى) مقعدها فى طريقها إلى الحمام .. وبينما كانت تمر بين المقاعد لمحته يدخل من الباب الرئيسى للمطعم .
نعم .. كان هو .. (مدحت) .. وبصحبته إحدى الفتيات .
وتسمرت فى مكانها وهى تنظر فى اتجاهه .
ولمحها بدوره .. فتردد قليلًا فى متابعة سيره .
كانت الفتاة التى يصحبها رائعة الجمال .. وكانت متعلقة بذراعه بطريقة تؤكد عمق صلتها به .
وأحست (منى) بالارتباك وهو يمر بجوارها .. وقد خيل لها أنه سيعمد إلى محادثتها ، فى حين كانت أنظار (حسين) مازالت تتابعها فى أثناء ذهابها .

بللت منديلها بالماء البارد ثم أخذت تمرره على وجهها وهى تتساءل :

ما الذى جاء به إلى هنا ؟ ومن تلك الفتاة التى تصاحبه ؟

لقد أثارت رؤيتها له اضطرابها على نحو لم تتوقعه .

وعندما غادرت الحمام وجدته واقفًا فى انتظارها .

لم يقل شيئًا .. بل أخذ يحدق فى وجهها .. ثم ألقى نظرة على يدها ، وبدا أن عينيه قد استقرتا على أصبعها الذى يزدان بالخاتم .

ورفع عينيه عن الخاتم لتلتقى نظراته بنظراتها .. وكانت نظرته لها تحمل اتهامًا ظلت (منى) جامدة مكانها ، وقد بدا وكأنها عجزت عن الحركة .

ثم ما لبثت أن رأته يتقدم نحوها وقد هم بأن يقول لها شيئًا .

ولكن قبل أن يفعل لمحت (حسين) آتيا نحوها وسألها قائلًا :

ـ لقد قلقت عليك ؟ هل أنت واثقة بأنك بخير ؟

قالت له وهى تحاول السيطرة على نفسها :

ـ نعم .

وصحبها (حسين) عائدًا إلى مائدتهما فى حين بقى (مدحت) واقفًا فى مكانه وهو يتبعها بنظراته .

وقبل أن تجلس ألقت نظرة وراء ظهرها ، لتجده ما زال واقفًا فى مكانه وعيناه تتابعانها .

وعاد (مدحت) إلى مائدته فى صحبة تلك الفتاة التى جاء معها .

ولسوء حظها أو حسن حظها كانت مائدته فى مواجهتها وعلى مسافة غير بعيدة عنهما .

وأخذ (حسين) يحدثها بحماس عن خطة البحث التى يعدها .. ثم تطرق الأمر إلى تحديد موعد زواجهما ، وما ينقصهما من احتياجات منزلية .. لكنها كانت مشغولة عنه بمراقبة (مدحت) الذى تعمد أن يتجاهلها .

ووجدته يبدى انسجامًا واضحًا مع رفيقته .. أو ربما يبالغ فى إظهار ذلك نكاية بها .. وقد كان يعلم أنها تراقبه من طرف خفى .

وتنبهت على صوت (حسين) وهو يقول لها :

ـ إنك لست معى مطلقًا اليوم .

وحاولت (منى) أن تركز معه قائلة :

ـ آسفة .. لقد سرحت قليلًا .

ورأته ينظر فى اتجاه (مدحت) .. ثم إليها قائلًا :

- هل تعرفين ذلك الرجل ؟ .
قالت (منى) بارتباك :
- هه ؟.. كلا .. ما الذى يدعوك لقول ذلك ؟
- لقد كنت تنظرين إليه طوال الوقت الذى أحدثك فيه .
- لقد كنت شاردة بعض الشيء ولا أنظر إلى شخص معين ، أو أركز على شيء محدد .
- يبدو أنك متعبة بالفعل يا (منى) .
- نعم .. آسفة يا (حسين) ولكنى أريد أن أعود إلى المنزل .
- كما تريدين .
وقام (حسين) بدفع الحساب ومغادرة المطعم .. ولكن قبل أن يدلف إلى الخارج ألقى نظرة خلفه ليرى (مدحت) وهو يتابعهما بنظراته أيضًا .
قالت له (منى) قبل أن تصعد إلى شقة عمتها :
- آسفة يا (حسين) .. إذا كنت قد أفسدت عليك السهرة .
قال لها برقة :
- لا عليك .. اعتنى بنفسك جيدًا .
- هل ستعود غدًا إلى القاهرة ؟
- نعم .. فى الثامنة صباحًا كما أخبرتك .
- أرجو أن تتصل بى حينما تصل .

قال (حسين) بلهجة باردة :
- إن شاء الله .
ثم ودعها قائلًا لسائق سيارة الأجرة الذى طلب منه أن ينتظره :
- والآن .. عد بى إلى نفس المكان الذى استوقفتك عنده .
قضت (منى) ليلة مضنية وهى تفكر فيما يمكن أن يتخيله (مدحت) عنها الآن .. بعد أن رأى خاتم الخطبة فى إصبعها ، ووجدها فى صحبة (حسين) .. لابد أنه أيقن الآن أن رفضها الزواج منه بحجة العمل ، لم يكن سوى أكذوبة حاكتها .. لكى تخفى عنه أمر خطبتها وصلتها بـ (حسين) .
وأن ما كانت تخشاه الآن .. قد حدث .. وأنه أخذ انطباعًا سيئًا عنها .
وآلمها أن تترك فى نفسه هذا الأثر السيئ .
وانتقلت بتفكيرها إلى تلك الفتاة التى كانت تصاحبه فى المطعم .
ترى من تكون ؟ ومتى تعرف عليها ؟ أم أنه كان يعرفها من قبل ، وربما فى أثناء علاقته بها ؟
ولم تستطع أن تمنع إحساسًا مضنيًا بالغيرة .

وتنبهت إلى أنها وسط كل هذه الأحاسيس المتشابكة بشأن (مدحت) قد نسيت تمامًا أمر خطيبها (حسين) .

لقد عاملته بمنتهى البرود والجفاء وبرغم أنه جاء خصيصًا لكى يراها ويطمئن عليها .

ولكنها كانت منشغلة طوال الوقت بالاهتمام بـ (مدحت) .

ترى هل لاحظ عليها ذلك ؟ لقد نبهها أكثر من مرة إلى شرودها وأنها تبدو معه وكأنها غائبة عنه .. لابد أن ذلك قد لفت نظره .. خاصة وقد رآها وهى تنظر إلى (مدحت) باهتمام .

أيمكن أن يكون قد شك فى شىء ؟

وعادت لتطمئن نفسها قائلة :

ـ أن (حسين) ليس من النوع الذى يرتاب .. أو تستوقفه مثل هذه الملاحظات ..

وفى صباح اليوم التالى خرجت (منى) إلى الشاطئ حيث أخذت تسير فوق الرمال وهى تحاول أن تنفض عن نفسها هموم وأفكار الأمس .

ولكنها ما لبثت أن رأته أمامها ..

كان جالسًا مع نفس الفتاة وبصحبتهما امرأة متقدمة فى السن تحت إحدى المظلات ..

وهمت بأن تعود من حيث أتت دون أن تدعه يراها .

ولكنها تراجعت عن ذلك ووجدت نفسها وقد تعمدت أن تمر أمامه محاولة لفت نظره إليها .

وما إن رآها حتى غادر مكانه تحت المظلة واعترض طريقها قائلًا :

ـ صباح الخير .

قالت محرجة :

ـ صباح الخير .

ونظر إلى وجهها قائلًا :

ـ يبدو أنك لم تنامى جيدًا بالأمس .. فعيناك تبدوان مرهقتين .

ـ لقد كنت متعبة بعض الشىء .

قال بهدوء :

ـ تعالى لأعرفك على خالتى .

ونظرت إلى المرأتين الجالستين تحت المظلة قائلة :

ـ خالتك ؟

ـ نعم .

ولم يدع لها فرصة للاعتذار .. بل تقدمها متجهًا إلى المظلة .. ولم تجد بدًا من أن تتبعه .

وقدمها إلى خالته قائلًا :

ـ الآنسة (منى) .. خالتى .
صافحتها الخالة بحرارة قائلة :
ـ أهلًا يا بنيتى .. لقد حدثنى عنك (مدحت) كثيرًا ، وأفاض فى الحديث منذ وصولنا إلى الإسكندرية حتى أننى اشتقت لرؤيتك من كثرة إشادته بك .
ـ أشكرك .
وقدمها للفتاة قائلًا :
ـ (نهلة) .. ابنة خالتى .
وهمهمت (منى) قائلة :
ـ ابنة خالتك ؟
وصافحتها (نهلة) قائلة :
ـ أهلًا (منى) .. أعتقد أننى قد رأيتك بالأمس .
قالت خالته :
ـ لماذا لا تجلسين معنا ؟
قالت (منى) .
ـ كان يسعدنى ذلك .. ولكنى مضطرة للعودة إلى المنزل .
قالت لها خالته باستنكار :
ـ فى هذه الساعة المبكرة ؟ إن البلاج رائع اليوم .. وكنا نتمنى أن تبقى فى صحبتنا طوال النهار .

ـ مرة أخرى .
قالت خالته :
ـ سأعتبر هذا وعدًا منك .
ـ إن شاء الله .
وقال لها (مدحت) :
ـ سأوصلك .
ـ لا داعى لذلك .
قال لها بحسم :
ـ بل سأفعل .
واستأذن من خالته وابنة خالته ثم سار بجوارها عائدين من نفس الطريق الذى أتت منه .
وألقى نظرة على إصبعها قائلًا :
ـ مبروك !
ولم تجبه بشىء فى حين استطرد قائلًا :
ـ لابد أن ذلك الشخص الذى كان بصحبتك بالأمس هو خطيبك .
والتفت إليها ليواجهها فجأة قائلًا :
ـ هل هذا هو السبب الحقيقى لرفضك الزواج منى ؟

★ ★ ★

١٢ ـ وأشرق الحب ..

واستطرد قائلًا :

ـ لابد أنك كنت تعرفينه من قبل .. فخطبتك له لم تتم هكذا خلال الأيام المعدودة التى افترقنا فيها .

غمغمت قائلة :

ـ بل كنت مخطوبة له قبل أن أعرفك .

نظر إليها بدهشة قائلًا :

ـ تقصدين كنت مخطوبة ثم فسخت خطبتك .. وبعد ذلك عادت المياه لمجاريها ، مما دفعك إلى رفض الزواج منى ؟

ـ إن الخطبة لم تفسخ بيننا .

ـ تعنين أنك كنت مخطوبة فى الفترة التى تعارفنا فيها ؟

ـ نعم .

ـ ولكنى لم أر فى إصبعك خاتم الخطبة .

ـ لقد نزعته من إصبعى .

قال لها (مدحت) بغضب :

ـ لتخدعى شخصًا غريرًا مثلى ؟

ـ إننى لم أفكر للحظة واحدة فى أن أخدعك .. ولم يدر بخلدى لحظة واحدة أننى سألتقى بك وأحبك ..

قال لها ساخرًا :

ـ تحبيننى .. أخيرًا قلتها .. ولكن بعد أن انكشفت خدعتك .

قالت (منى) بتوسل :

ـ (مدحت) .. صدقنى .. إننى لم أفكر للحظة واحدة فى أن أخدعك ، ولم يكن نزعى لخاتم الخطبة من إصبعى يعنى بالنسبة لى سوى إحساس نفسى برفضى لهذه الخطبة .. وكان هذا هو كل ما أملك أن أعبر به عن ذلك الإحساس بضعة أيام بدون هذا القيد الذى اضطرتنى الظروف إليه ..

وعندما التقيت بك ، وسألتنى عما إذا كنت مرتبطة أم لا ؟ وجدت نفسى أخفى عنك حقيقة ارتباطى .. ولم يكن هذا أيضًا يعنى بالنسبة لى شيئًا محددًا .. عدا أننى وجدت أننى غير مضطرة لإخبارك بحقيقة ارتباطى .

كان الأمر كله فى البداية .. رغبة فى التحرر من كل ما يذكرنى بعملى وارتباطى وشخصيتى الجادة ، وكل القيود التى تكبلنى .

وعندما بدأت أشعر بتحول عاطفتى نحوك ، خشيت أن أخبرك بالحقيقة حتى لا تسىء الظن بى .. فربما تصورت أننى فتاة عابثة ، أرادت أن تصادق أحد الأشخاص .. وتلهو معه بعض الوقت بعيدًا عن خطيبها .. وشاءت الظروف أن تضعك الأقدار فى طريقى ، وتكون أنت هذا الشخص .

ـ أتريدين منى أن أقتنع بذلك ؟

ـ كل ما أريده منك هو ألا تسىء الظن بى .. لقد قضينا معًا وقتًا طيبًا أعتبره من أسعد أوقات حياتى .. ولقد رأيت بنفسك أننى لم أكن تلك الفتاة العابثة المستهترة طوال ذلك الوقت ، ولم أسمح لنفسى بأن أفعل ما يخالف ضميرى .

لقد كان الأمر كله منذ بدايته محاولة للتخلص من روتين الحياة التى عشتها وإن كنت لا أنكر أنها كانت محاولة خاطئة ، ولم تجلب لى سوى الألم فى النهاية .

ـ ولكن إذا كنت لا تحبين خطيبك .. فما الذى يدفعك إلى الاستمرار فى خطبتك له ؟

ـ شىء أقوى من الحب .

ـ هل أستطيع أن أعرف ما هو هذا الشىء ؟

ـ إنه شىء خاص بى .

ـ إذا كان من حقك أن تلفظينى من حياتك هكذا .. فإن من حقى أنا أيضًا أن أعرف حقيقة هذا الشىء الذى لفظتنى من أجله .

ـ لقد كنت أعمل ذات يوم فى أحد معامل الأبحـاث الكيميائية .. عندما شب حريق كبير فى المعمل .. ووجدت نفسى محاصرة بداخله ، وعاجزة عن مغادرته ، وكدت أحرق داخل المعمل .. لولا أن (حسين) قد اقتحم النيران بشجاعة وساعدنى على مغادرة المعمل مخاطرًا بحياته لإنقاذى .

وكنت أعرف أن (حسين) يحبنى .. لذا فعندما طلب منى الزواج لم أكن لاستطيع أن أرفض طلبه .

ورق صوته قليلًا وهو يقول لها :

ـ ولكن هذا ليس سببًا كافيًا للاستمرار فى زيجة لا تريدينها .. إن الزواج لا يقوم على الإحساس بالواجب ورد الجميل للآخرين .. إن له مقومات أخرى من أهمها الحب .

ـ إننى لا أستطيع أن أجرح مشاعر الرجل الذى أنقذ حياتى .

ـ آجلًا .. أم عاجلًا .. سيدرك أنك لا تحبينه .. وأنك تزوجته فقط لأنك كنت مدينة له بإنقاذ حياتك .. وسوف يجرح هذا شعوره كزوج بأكثر مما يمكن أن يحدث الآن ، وسوف تفتقدان السعادة التى ينشدها أى زوجين .

ـ سأحاول ألا أجعله يشعر بذلك أبدًا .. وسأبذل كل جهدى لكى أكون زوجة مثالية .

ـ إن الزواج المثالى يحتاج إلى حب مثالى .. وأنا أحبك يا (منى) .. مازلت أحبك بكل جارحة من جوارحى .

نظرت إليه بعينين مغرورقتين بالعبرات وهى تقول له :

ـ وأنا أيضًا يا (مدحت) .. يجب أن تعرف أن حبى لك لا يقل عن حبك لى ، ولكننا تقابلنا فى توقيت خاطئ .

ـ مازلت تستطيعين أن تصححى الأمور .. وتحققى لنا السعادة التى ننشدها .. صارحيه بالأمر ، ولا تظلمى نفسك وتظلميه معك بزواج غير قائم على الحب .

- لا أستطيع .. لا أستطيع .

- بل تستطيعين .

- (مدحت) .. لقد شرحت لك الأمر .. وأنا آمل أن تقدر حقيقة موقفى وأن تفهمنى .

- لن أقدر .. ولن أفهم سوى أنك تضحين بحبنا من أجل ارتباط زائف، وأنك ترتكبين خطأ كبيرًا فى حق نفسك، وحق ذلك الرجل، وحقى أيضًا باستمرارك فى هذه الزيجة .. شرح بسيط للأمر يمكن أن يصحح الأوضاع .. وأنا يمكننى أن أتولى ذلك نيابة عنك .. إننى أستطيع أن أشرح له الأمر .

قالت له معترضة :

- كلا .. إياك أن تفعل ذلك .

- إذن فأنا لن أستطيع أن أفهم أو أقدر .. بل لن أغفر لك تضحيتك بحبنا مهما كانت الأسباب التى شرحتها .

- يومًا ما .. ستفهم وتقدر .

قال (مدحت) متوسلًا :

- (منى) .. أرجوك لا تضيعى حبنا .. مازالت الفرصة قائمة أمامنا .

تنهدت (منى) قائلة :

- سنفترق هنا .. وسيكون هذا هو لقاؤنا الأخير يا (مدحت) .

وتركته وانصرفت، وقد أخذت تركض فى خطواتها .. وكأنها تستحث قدميها على الابتعاد حتى لا تضعف وتجد نفسها وقد سارت فى الاتجاه العكسى لتلقى بنفسها فى أحضانه .. ولكن كان عليها أن تقاوم مشاعرها وتنهى الأمر عند هذا الحد .. وللمرة الأخيرة .

وبينما هى تسارع فى خطواتها وجدت نفسها وقد اصطدمت به .

كان (حسين) خطيبها .. وكان واقفًا على الشاطئ يرقب لقاءهما منذ البداية وقد تابعت عيناه الغاضبتان (مدحت) فى أثناء عودته يائسًا .

ووجلت (منى) .. وهى تنظر إليه قائلة :

- (حسين) .. ألم تسافر ؟

قال لها بغضب :

- هل هذا هو سبب بقائك فى الإسكندرية ؟ لقد شككت فى الأمر ليلة أمس ومنذ البداية .. عندما لم أجد خاتم الخطبة فى إصبعك .. وحالة الشرود التى كنت تبدين عليها .. ونظراتك إلى هذا الشخص فى المطعم الذى كنا نتناول فيه العشاء .

لذا قررت ألا أسافر وأن أتبين الحقيقة بنفسى .

- (حسين) .. سأشرح لك كل شىء .. ولكن أرجوك لا تسئ الظن بى .

ـ أعتقد أننى بحاجة بالفعل لكى تشرحى لى معنى هذا .. ومن الأفضل أن يكون هذا الشرح واضحًا ومقنعًا .. فلن أكون مستعدًا لسماع أية أكاذيب منك مرة أخرى .

ـ ثق بأننى لن أكذب عليك .. وسأكون واضحة معك تمامًا .

وشرحت له (منى) كل ما حدث .. منذ جاءت إلى الإسكندرية .. ولقاءها بـ (مدحت) ولم تخف عنه أية تفاصيل مما حدث .

وأنهت (منى) حديثها قائلة :

ـ والآن .. لن أطلب منك يا (حسين) إلا أن تسامحنى ، وتمنحنا الفرصة لتجاوز الأمر .

ظل (حسين) صامتًا لفترة قبل أن يقول لها :

ـ من الأفضل أن تعودى الآن إلى منزل عمتك .

وحاولت أن تقول شيئًا ولكنه قاطعها قائلًا :

ـ من فضلك يا (منى) اتركينى الآن وعودى إلى منزلك .

ـ ألن تلحق بى ؟

ـ ربما .. والآن عودى إلى المنزل .

واضطرت (منى) إلى أن تنصرف وتركته واقفًا مكانه وعيناه تتطلعان إلى البحر بلا هدف .. تمامًا كما حدث مع (مدحت) .. وأحست (منى) أنها تفقد كل شىء .. وكل المعانى الجميلة التى عرفتها فى حياتها .. الحب .. والالتزام .. وتقدير الآخرين لها ..

ولم يعد (حسين) إلى المنزل .. بل ولم يحاول حتى أن يتصل بها .. لابد وأنه لم يغفر لها .. تمامًا كما أن (مدحت) لن يغفر لها تضحيتها بحبهما .

ترى .. ما الذى يخبئه لها القدر الآن ؟

وقبل أن ينتهى عصر ذلك اليوم .. كانت (منى) قد غادرت المنزل لتقف أمام ذلك المشهد الذى يستهويها دائمًا .. مشهد الغروب .

وانسابت العبرات فوق وجنتيها وهى تقول لنفسها :

ـ هذه المرة أشهد مع غروب الشمس غروب حبى .. ونهاية سعادتى .. ووداعًا لأحلامى .

ويبدو أن تعلقى بهذا المشهد كان تنبؤًا أو إحساسًا بما سيحدث لى فى المستقبل ... ولكن الشمس تشرق من جديد بعد غروبها .. أما الحب الذى فقدته فلن يشرق فى حياتى بعد اليوم أبدًا .

وفى تلك اللحظة سمعت صوتًا يقول لها :

ـ عرفت أننى سأجدك هنا .

والتفتت لتجد (حسين) أمامها .. وعلى وجهه ابتسامة هادئة .

واستطرد قائلًا :

ـ لقد راجعت كل ما قلته لى بالأمس .. ولم أحتج إلى تفكير طويل .. إننى أحبك يا (منى) .. ولكننى أعرف جيدًا

أنك لا تحبيننى برغم محاولاتك من أجل ذلك .. وأنا لن أقبل الارتباط بفتاة لا تبادلنى الحب مهما كانت مشاعرى نحوها .

ـ ولكن ...

لكنه قاطعها قائلًا :

ـ أرجوك لا تقاطعينى .. إننى أعرف أنك تشعرين بأن هناك واجبًا يربطك بى ، وأنك مدينة لى بحياتك .. بل بما هو أكثر من ذلك ، وهو الشىء الذى لم تذكريه لـ (مدحت) أو لغيره وأنت تشرحين له ضرورة ارتباطك بى .

إنك تشعرين بأنك مسئولة عن تلك الحروق والتشوهات التى تركت آثارها فى أجزاء متفرقة من جسدى ، والتى لم تفلح عمليات التجميل فى إخفائها .. وكانت بسبب احتراقى فى النيران وأنا أحاول إنقاذك من الحريق الذى شب فى المعمل ..

ولهذا فإن ضميرك يمنعك من التخلى عن إنسان تشوهت بعض أجزاء من جسده بسببك .

وأنت مخطئة فى تصورك هذا .. فأولًا : أنت لست مسئولة عن شىء يتعلق بى .. فلقد تصرفت بما يمليه علىّ ضميرى فى تلك اللحظة .. لم أكن لأقوى على أن أرى إنسانًا يتعرض للموت ، وأمامى فرصة لإنقاذه دون أن أتدخل .. سواء أكان أنت أم غيرك .. ولم أفكر لحظتها فى

أية عواقب عدا أنه يتعين علىّ أن أبذل كل ما أستطيع لإنقاذك ، أو إنقاذ أى شخص فى مكانك .

لا تتصورى أن هذه بطولة منى .. بل كان تصرفًا تلقائيًا ولا إراديًا .. وربما لو فكرت قليلًا فيما يمكن أن أتعرض له من مخاطر لأحجمت عن التدخل .

ثانيًا : إن جراحة التجميل تقدمت للغاية ليس فى الخارج فقط .. ولكن فى مصر أيضًا .. وقد اتفقت مع أحد أطباء التجميل فى مصر ، للتخلص من آثار هذه التشوهات ، وتحدد لهذا موعد فى الشهر القادم .. وقد وعدنى .. بأن كل تلك الآثار التى تخلفت عن الحريق سيتم محوها تمامًا .. ولن يتخلف عنها أى أثر .

لذا فإن ضميرك يمكن أن يستريح من هذه الناحية .

واقترب منها مستطردًا ليهمس لها :

ـ (منى) .. ربما أكون قد خسرتك كزوجة ، ولكنى لن أخسرك كصديقة أقدرها وأكن لها كل احترام ومودة .. وثقى بأن التعاون بيننا فى العمل والدراسة سيستمر كما هو .

وتناول يدها فى يديه لينتزع الخاتم من إصبعها قائلًا :

ـ أعتقد أنك لم تعودى مضطرة للاحتفاظ بهذا الخاتم فى إصبعك ، ثم وضعه فى راحتها مردفًا :

ـ فهناك من هو أحق منى بأن يضع خاتمه فى إصبعك .

وأدار وجهها إلى الجهة الأخرى من الشاطئ قائلًا :

ـ وأعتقد أنه هذا الشخص .. فهو يحبك حبًا كبيرًا .

هتفت قائلة :

ـ (مدحت) !

وحاول (حسين) أن يخفى عنها انفعالاته قائلًا :

ـ لقد التقيت به بعد رحيلك ، وأعترف لك بأننى كنت غاضبًا للغاية وتوقعت أن يحدث بيننا صدام .. ولكن سرعان ما هدأت نفسى .. وتفاهمنا على كل شىء بعد أن أوضحت له السبب الحقيقى فى استمرار ارتباطك بى .

حافظى على هذا الرجل يا (منى) .. ولا تفكرى فى التضحية بمن أحببت مهما حدث ومهما كانت الأسباب .

وقبل أناملها مستطردًا :

ـ وداعًا يا (منى) ..

ظلت (منى) واجمة فى مكانها للحظة ، بعد انصراف (حسين) بينما كان (مدحت) يقترب منها بخطوات متأنية .

وما لبث أن اندفع كل منهما فى اتجاه الآخر ليلتقيا فى عناق طويل .. عبرا من خلاله عن مشاعرهما المحرومة وحبهما الكبير .

وبينما كانت الشمس تغرب وراء الأفق كان حبهما يشرق ساطعًا .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

• رقم الايداع : ٧٨٤٨



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



ا . شريف شوق



لقاء في الغروب

بينما كانت الشمس
تغرب .. كان لقاؤهما الذى
رسم القدر خيوطه ليتحول إلى
حب كبير .. لكن أمرا ما وقف
حائلا أمام سعادتهما .. وظنت
(منى) أن حبها قد غرب كغروب
الشمس ، لكن القدر جعله
يشرق من جديد .

قرش جنيه
٢٠٠٠

ال ك

وما يعادله بالدولار ... العربية والعالم